ثقافة النخبة الخلاقة

الانسان بطبيعته يتوق الى الكمال والتفوق، وان طبيعته هذه لهي الدافع الاساسي الى التقدم والارتقاء والى بذل جهود متجانسة خلال التاريخ البشري تهدف بمعظمها الى تكوين طريقة مثلى للحياة، ينعم الفرد الانساني بواسطتها بكل ما يتوق اليه من قيم وسعادة .

والمدنية ليست في مختلف اطوارها الا نتيجة هذه الجهود المتجانسة والناتجة بدورها من مثل الإنسان العليا ونزوعه نحو الارتقاء والكمال .

والثقافة الانسانية على اختلاف الوانها هي التي تبعث المدنيات الخاصة وتوجه مضامين هذه المدنيات كي تساهم في تكوين المدنية الانسانية الشاملة المنشودة .

فليس من مدنية ذات اثر حي في تاريخ التقدم الانساني الا وقد نشأت على دعائم ثقافة حية خلاقة ويكفي ان نستعرض جميع المدنيات القديمة والحديثة الكبرى لكي نلمس هذه الحقيقة البارزة .

ولكي تكون المدنية ذات اثر حي في تاريخ التقدم الانساني يجب ان تنطوي، اولا، على ارتقاء الانسان ورفاهيته وسعادته، وثانياً على نزوعه الفعلي الى تحقيق الكمال الانساني المطلق. لذلك لا يمكن ان تنشأ مدنية كهذه المدنية الا على دعائم ثقافة مبدعة عميقة، تبعث بذورها وتهيء ولادتها وتوجه مقوماتها

وان اعضاء النخبة المثقفة من ابناء الجيل العربي الجديد، حاملي رسالة انعتاق وخلق وتضحية، لعالمون ان النهضة العربية الحديثة، لكي تنفذ الى النطاق الحضاري الذي يرمون اليه لا بد من ان يوجهها تصميم ثقافي عظيم لا يقل قدراً وابداعاً عن تراث اجدادهم الخالدين وعن اثره في مجرى تقدم الفكر عبر التاريخ .

والرسالات الكبرى الفاعلة فعلها الايجابي في عالم الثقافة لا تتميز بانها تطور شتى العلوم وتجدد اساليبها وتصحيح فرضياتها فحسب، بل تتميز بصورة خاصة بانها تستخدم هذه العلوم وتطبقها بطريقة مبدعة ومتجانسة في سبيل تحسين الواقع ورفع مستوى مقومات الحياة .

وهكذا، الثقافة الصحيحة لا تقوم على معرفة جميع العلوم الروحية والطبيعية فقط بل تقوم بصورة اساسية على معرفة كيفية وصل هذه العلوم بالمثل العليا التي يستهدفها الانسان في طريقه الى التحرر والتفوق والكمال .

ان النهضات الكبرى في التاريخ تتصف بانها كانت دائماً وليدة حشو فكري موحد يعم مختلف فروع المعرفة المتفاعلة ومختلف مقومات الحياة الروحية والمادية، حيث يجعل من هذه المقومات كلا قوياً منسجما

فمن الطبيعي، اذن، ان يتوجه المفكرون العرب باتجاه المبدع الجديد في شتى حقول المعرفة الى الاهتمام بمعضلات امتهم ونهضتها المقبلة .

ان مهمة البعث والتوجيه وخلق ثقافة الامة هي مهمة تتعلق في كل وقت ومكان بالنخبة المبدعة المثقفة .

كراكاس — فنزويلا **منوال يونس**

موعد مع الرجاء

بقلم فؤاد صروف



المفارقات العجيبة في حياة العصر ، ان تجد العلم والصناعة قد بلغا من الارتقاء مبلغاً يمهد للناس جميعاً اسباب الوفر والخير ، وان تجد في الوقت نفسه ثلثي اهل الارض مترددين في هوة من البؤس والجوع والسقم تتفطر لها القلوب : الطعام بينهم قليل لا يكاد يقيم الاود ، والمرض فاش فلا يقدر للوليد ان يبلغ من العمر ما يتجاوز عشرين ربيعاً ، والمأوى قليل وحقير لا يوائم كرامة الانسان ، والقدرة على العمل وهنانة واهية فكأن الرجل شبح يلهث .

ولكن العلم الحديث كشف الاسرار ، وفتق الحيل الصناعية ومهد الاسرار المجدية لاستغلال موارد الطبيعة وتوفير المأكل والملبس والعلاج الواقي او الشافي لجميع الناس ، والعلماء مجمعون على ان الموارد الطبيعية تكفي عدداً من الناس يفوق كثيراً ، عدد اهل الارض اليوم ان حسن استغلالها وتوزيعها ، وهم لم يقتصروا على استكشافها وابتكار الاساليب لزيادة الانتفاع بها ، بل جعلوا يضيفون اليها موارد جديدة لا عهد بها للناس من قبل .

كان الظن ، منذ نصف قرن او اكثر قليلا ، ان موارد الزراعة لا تكفي البشر الذين تطرد زيادتهم عاماً بعد عام ، ولكن الانتفاع بالبحوث العلمية وتطبيقها خلقا الزراعة الجديدة ، فاذا اصحابها يزيدون ما يجنونه من التربة ، ثم خلقا ايضاً الوسائل الجديدة لحفظ الطعام وتعزيزه بالمواد الحيوية ، ونقله ، فصار ميسراً لمن كان محتاجاً اليه وان كان بعيداً عن مواقع انتاجه .

وكان الظن ايضاً ان موارد الخامات اللازمة للصناعة لا تكفي . فهنا منجم فحم ، وهناك بئر نفط ، وكل من يملك المنجم او البئر ، او يقبض على زمامها ، يستطيع ان ينتفع بها واما غيره فعليه ان يقنع او ان يحارب . ولكن العلم الحديث اثبت اننا نستطيع ان نركب مواد جديدة كنا نعتمد فيها على المناجم او الآبار التي تنفد او تغيض ، فطائفة من اللدائن التي تصنع من مادة الخشب او القش تحل الآن محل الحديد والنحاس ، والسماد الكيمائي يحل محل السماد الطبيعي ، اما الطاقة التي تولد من الانهار المتدفقة او التي قد تقنص من شعاع الشمس ، فخليقة ان تجعل الطاقة المحركة وكأنها نعمة حرة من نعم الطبيعة ، فتكسر من حدة التنافس على آبار النفط او مناجم الفحم واليورانيوم .

فاذا صاح رجال السياسة والاجتماع : « التحرر من ربقة العوز والفاقة والمرض » ، قال رجال العلم والصناعة : « لبيكم ، عبد بين ايديكم » ، هذا خاتم سليمان في العصر الحديث ، ولكن اين الحكمة واين والرشد في الانتفاع به على اوفى وجه واضمنه للعدل ؟

جاء على البشر زمن ساد فيه الاعتقاد ان الانسان مسير كالآلة ، لا خيار له في شيء ، فشاع التنجيم والاستسلام لقوى الطبيعة الخارقة التي تتخذ في الحين بعد الحين ، مظهر العنف فيثور البركان ، او يفيض النهر فيضاناً مدمراً ، او يعم الجفاف فيسير القحط والجوع في ركابه ، او يستفحل الوباء وينتشر ، ولكن ائمة الفكر الفلسفي والادبي ، نعوا على هذه العقيدة ، انها ترفع عن كاهل الانسان تبعة ما يعمل ، حتى القاتل يستطيع ان يزعم ان الكواكب دفعته الى القتل ، فلم يكن له خيار وليس عليه تبعة .

بيد ان الانسان قد تعلم على الدهور ، ان له من قدرة العقل وسعة الحيلة ، ما يمكنه من اخضاع القوى الطبيعية لنفعه . نعم ، لا يزال يقف عاجزاً امام البركان الثائر والزلزال المدمر ، ولكنه يستطيع ان يلجم الانهار بالجسور وبالقناطر والسدود ، فلا تفيض فيضاناً مهلكا ، وتوزع مياهها للري ، وتدفع في الآلات فتولد الطاقة المحركة وتصنع السماد ، وهو يستطيع ايضاً ان يسيطر الى حد بعيد على المجاعات بزيادة المحاصيل حيث تجود ، وتوزيعها حيث تمحل ، وعلى الاوبئة في الحجر الصحي والحقن الواقية والعقاقير الساحرة ، فالانسان الحديث الذي نهل العلم من منابعه لا يخشى الطبيعة ، فقد علمه العلم ان يحنو عليها وان يفهمها وان ينتفع بقواها .

وقد يبدو احياناً ان الانسان مقدر عليه ان يدمر نفسه بنفسه ، فمنذ ان نشبت الحرب العالمية الاولى ، تراه مندفعاً كأن به مساً من الخبل ، الى حرب تليها حرب ، الغالب فيها خاسر كالمغلوب ، حتى ليخيل الى المرء ان الشياطين قد تألبت عليه ، فساقته الى ان يهدم بيديه كل ما شاد وما ابدع ، او كبلته باغلال من الشر لا انطلاق له من اسارها . بيد ان الذي ينعم النظر في حال البشر اليوم ، وحالهم منذ آلاف السنين ، يدرى ان اكبر

* حديث اذيع من محطة الاذاعة المصرية بالقاهرة .

الخطر الذي يخشاه الانسان اليوم ، ليس مرده الى الطبيعة كما كانت الحال في العصور القديمة ، بل مرده الى الانسان نفسه .

فالحروب الكبيرة لا تثيرها القوى الطبيعية التي تحرك الكواكب في افلاكها ، بل يثيرها انفعال الخوف وشهوة الطمع ، وقد كان الخوف في العصور القديمة ، وسيلة من وسائل البقاء ، فالخوف من الحيوانات الضارية ، والخوف من خطر الموت جوعاً ، ركبا في طبيعة الانسان ترجيعاً عصبيا ، يدفعه حينا الى القتال ذوداً عن الكيان ، وحيناً الى الفرار ، وحيناً الى اعمال الذهن لابتكار وسيلة او أداة تمكنه من قتال الوحش ، او تأمين نتاج الحقل .

فالخوف انفعال قديم متأصل في تركيب الانسان ، ولكن الاسباب التي دفعت اليه يومئذ قد زالت ، كلها او معظمها ، باطراد العمران والاجتماع . فصار انفعال الخوف ، اليوم ، هو الخوف من الانسان ، وهو احد الاسباب الاساسية التي تجعل الانسان خصما لاخيه ، فالخوف لا يجد منفساً له في الطبيعة اليوم كرد غائلة الضواري عن الباب ، فيتجه الى البيئة الاجتماعية فيولد الريبة والضغينة والحسد والافتراء . ومن الحكم المشهورة عند رجال الحرب ان الهجوم خير وسائل الدفاع فلذلك ترى الناس يهاجمون غيرهم لانهم ينتظرون او يخشون ان يهاجموا .

فاذا اراد الناس ان ينتفعوا بما اتاحه العلم من سيطرة على الطبيعة وجبت تربية النفس ورياضتها ، حتى يغلب شعور التقارب والتآلف على شعور الخوف والنفور . نعم من العبث ان تقول لاخيك عليك بهذا الوحش ، او بهذه الافعى التي تفح ، فادن منه او منها ، وفي نفسك المحبة والعطف ، فيسلس لك الوحش قياده وتعنو لك الافعى . ولكن اذا ادركنا ان الاحوال الاولى التي نشأ فيها انفعال الخوف وتأصل الرد العصبي عليه ، قد قلت او زالت ، وان فهم الانسان لقوى الطبيعة والانتفاع بها قد زاد ، فهد للتعاون المجدي ، فقد قبضنا بايدينا على زمام المبدأ الفلسفي الذي يستطيع ان يوقينا مهالك الحروب .

فالحرب هي عدوان الانسان على الانسان ، عدواناً سداه الخوف ولحمته الطمع ، والخوف قد بينا شانه في الدفاع عن النفس ، واما الطمع فيخلق في النفس شهوة السيطرة وكلاهما يولد الخوف في نفس الغير ، فاذا نحن امام سلسلة تبتدىء حيث تنتهي ، وليس في الوسع تحطيمها الا اذا عولج انفعال الخوف وشهوة الطمع ، اما الخوف فينبغي ان يقام كل دليل تمكن اقامته للدولة التي تخاف العدوان على ان لا حاجة بها الى توقعه ، واما الطمع فينبغي اقامة الدليل ايضاً على ان لا جدوى منه ، وان الجدوى انما تكون في التعاون على تكثير الخيرات التي جعلها العلم والصناعة طوع البنان لمن ورثوا الارض وما عليها .

حقاً ان القول في هذين الامرين اسهل من العمل ، وحال العالم اليوم هي حاله ، فهو اليوم كتلتان كل منهما ترى ما يحملها على الخوف من الاخرى ، وان خوف الاخرى منها سخيف لا مسوغ له ، فهي لذلك تعتقد ان خصمها غير صادق ولا مخلص في ما يساوره من خوف . فالمشكلة النفسية من وراء الحالة العالمية معقدة متأصلة في النفس ، ولكن كثيرين من المفكرين لا يرون انها مستعصية على الحل ، وعلى كل حال فان الاحتكام الى القوة لا يحلها ، بل يزيدها تعقيداً وتأصلا .

وليس الغرض من هذا الحديث ان نخوض في النواحي السياسية والحربية لهذه المشكلة ، ولكنه القول الصادر عن ايمان ، باننا لا نجد شيئاً خارجاً عن شهوات البشر وضعفهم ، يدفعهم حتماً وقسراً الى كارثة عالمية . نعم انما شهدناه من بلايا حربين عالميتين ، وما نشهده الآن من خشية حرب عالمية ثالثة ، خليق ان يدفع الى التشاؤم ، ولكن ما شهدناه أيضاً خلال القرن المنصرم من اطراد الغلبة على الفاقة والجهل والمرض والتفاوت الاقتصادي والاجتماعي ، يغري بالرجاء والثقة .

تنظر في ناحية من حياة هذا العصر ، فيغلب الرجاء ، وتنظر في ناحية اخرى فيغلب الخوف ، فيخيل الينا ان الاثنين متنافيان لا يمكن التوفيق بينهما . يقول الذين يغلبهم الخوف : الحرب لا مفر منها ، لأن الآراء والعقائد الغالبة على الكتلتين متنافية ، حتى ليتعذر على إحداهما ان تعيش في عالم تسيطر الاخرى عليه . يقول فريق : لا بد من عالم تترعرع فيه الحرية ، فان لم تترعرع فيه كله ، فلن يتاح لها ان تترعرع زمناً طويلا في بعضه وحسب . ويقول الآخر او يفعل كأنه يقول : لا بد من عالم يصان فيه السلطان بالقوة والتحكم ، من زعازع الحرية وآمال أصحابها ، لأنه ان لم يكن كذلك في العالم كله ، فلن يسلم منها في بعضه وحسب ولذلك يقال ان الصدام بينهما لا مفر منه ان عاجلا وان آجلا .

بيد أن الفريقين ينسيان عبرة التاريخ ، وهي انك لا تستطيع ان تصنع عالماً ما بالسلاح ، لا على اساس من الحرية ، ولا على اساس من السلطان . فالسلاح قد يستعمل لخنق الحرية ، وقد كان ، والسلاح قد يستعمل لزعزعة السلطان وقلبه ايضاً .



صورة وصفية

بقلم وديع فلسطين



زهرة نضرة اخرى من أزاهير النيل ، وامل كبير مرجو في عهد إنبعاث الفتاة المصرية. «خيرية» أخذت من الجامعات زبدة حصيلتها ، وطافت بمعظم دول العالم تطواف درس وبحث واستقصاء ، وجاهدت لتستكمل أسباب الثقافة الانسانية المتطورة ، ولا مشاحة في ان الثقافة الانسانية هي اسمى ألوان الفكر .

وخادمات المجتمع انواع شتى : منهن من تخدم الجماعة بما تصنعه يديها من مشغول ومزركش وموشي ، ومنهن من تخدم الجماعة بتنشئة الجيل الجديد نشأة صالحة ، ومنهن من تخص ساعات من وقتها لعمل الخير وجمع الاكتتاب للمعوزين ، ومنهن من تتصايح مطالبة للمرأة بحق النيابة عن الشعب . ولكن خيرية تخدم الجماعة بقلمها وفكرها ، وصفحات الصحف تتسع لما يدبجه يراعها، ولما تدرسه من مشكلات الفتاة دراسة منهجية سليمة المتجه. فهي صاحية واعية ذات وجدان، تعرف ان للقلم سحراً في بلدان لا تزال شقية بجهالة سكانها ، وتدرك ان للكلام المطبوع سحراً في اقطار تقدس الكلمة المطبوعة وتجل آراء الصحف كافة. والرسالة التي تتوق خيرية الى ادائها ، هي ان تقوم المجتمع من ادنى طبقاته لا من مستوياته العليا. فليس يهمها ان تتصلح قمة الهرم ، بل يهمها ان يعم الصلاح قاعدة الهرم ، لأن المجتمع في عرفها يبدأ من اسفل ويتدرج الى أعلى ، لا نقيض ذلك. وهي ، من ثم ، تذيع في الصحف رسائلها عن الفتاة المصرية في المصنع ، وعن المصريات المغمورات المناضلات ، وعن الفتاة في اوربا وكيف تقارن بصويحباتها في مصر ، وعن الأمهات اللائي يصنعن الاجيال في دورهم الوضيعة الساذجة .

وخيرية ، في ما يبدو ، ثمرة من ثمار مرحلة الانتقال بين عقليتين واتجاهين وثقافتين. والمرء يحار في مواجهة هذين الاتجاهين. فهل يجنح الى الغرب جنوحاً تضيع معه معالم شرقيته الأصيلة التقليدية او يميل الى الشرق ميلا يغنيه عن كل ما هو غربي ؟ هل يعتصم المرء بالتقاليد كما هي فيصير كالمحافظين من ابناء البريطان الذين يلبسون من الشعور مستعارها ومن الملابس مزركشها ومفضفضها، ويركبون الخيل للنداء في الأعياد، ويلبسون القبعات عندما يتكلمون في البرلمان حتى ولو كانت قبعات مستعارة بالية ؟ أو هل ينفض يديه من هذه التقاليد جميعاً ، فيعمل ما يراه متسقاً مع منطقه وعقله وذوقه ، ويتصرف وفقاً لمشيئته هو في غير تقيد بالماضي او تعلق بالسالف المنقضي ؟

ان خيرية تجد نفسها بين هذين التيارين ، شأن كثيرات وكثيرين من ابناء هذا الجيل ولكنها تعرف ان السبيل الوسط هو أسلم السبل ، وان التطرف الى هذا النقيض او ذاك ليس من الحجى ، فلا بد للحياة من ضوابط ، ولا بد للمرء من عقل وعاطفة يوازن بينهما بميزانه مستخدماً معايير من ثقافته ومنطقه وبيئته وعقيدته .

كفتاة عصرية ، تقود خيرية سيارتها بنفسها ، وترحل الى البلاد قاصيها ودانيها وتشهد الحفلات التي تدعى اليها وتكافح في الحياة لتعيش. ولكنها مع ذلك حريصة على طابعها المصري وعلى خلقها الشرقي حرصاً لا يصل الى التزمت ولا يرتد الى الرجعية .

اذا انتوت شيئاً فعلته ، واذا وعدت وفت ، واذا سعى اليها من يطلب عونها وجدها نعم العون ، وإذا سار معها الضرير

فالسلاح لا يبني ولا ينشيء . والمشكلة التي يعانيها العالم اليوم ، بشطريه وما بينهما ، والتحدي الموجه الى العالم اليوم بكتلتيه وما بينهما ، انما هما كيف نبني عالماً جديداً يوائم كرامة الانسان الحر ، في وسعنا ان نجعل احد اركانه ، لأول مرة من تاريخ البشر ، وفرا من اسباب العيش والكرامة ، التي كشف العلم مبادئها ، فاحالتها الصناعة حقائق تلمس لمس اليد من مشرق الشمس الى مغربها

منذ ربع قرن من الزمان قال احد رجال التعليم : ان العالم في سباق بين التربية والكارثة. وقد كان هذا التعبير يومئذ ، مجازاً يأخذ النفس ، ولكن الكارثة في العصر الذري صارت حقيقة كالحة ، والتربية نفسها هي عمل يدل على ايمان بالمستقبل . فالتعبير اليوم اصبح اصدق مما كان ، والمعنى المضمن في التفاوت بين شطريه صار الح مما كان . وفي ادراك هذه الحقيقة معقد رجاء المستقبل. فالانسانية برغم ما يمزقها في هذه الايام من اسباب الضغينة والطمع والخوف ، هي على موعد مع هذا الرجاء ، وعسى ان لا تتخلف عن موعدها .

القاهرة — **فؤاد صروف**

ارشدته الى بغيته. ويحضرني بهذه المناسبة قصة طريفة، ذلك انني دعيت الى معهد لأشهد حفله الرياضي السنوي، وكانت خيرية بين المدعوين. وأراد منظم الحفل ان يتفكه مع المدعوين، فاختار خمسة من الشبان كنت احدهم، ووضع عصابة على اعينهم واعطى كلا منهم عكازاً وطلب منهم ان يتسابقوا على تحطيم عدد من أواني «القلل» الفخارية، وكان لكل منهم رفيقة ترشده الى موضع هذه الأواني، وكانت خيرية رفيقتي، فكتب لي الفوز، وصرت مشهوراً حتى اليوم بأنني بارع في تحطيم أواني الفخار.

وفي خيرية ميزة طيبة، هي انها تعطي لكل حقه، ولا تغمط احداً قدره. فهي منصفة في عهد يعز فيه الانصاف، وهي بصيرة بصنوف الناس وطبائعهم تمسك حكمها عليهم حتى تدرسهم بتدقيق وتدبر فليس دأبها ان تدين الناس فترفع بعضهم الى ذري عالية وتخفض بعضهم الى هوى سحيقة، بل تصدر احكامها بعد تفكير وموازنة ومراعاة للاعتبارات الخاصة والعامة حتى لا تنزل بأحد جوراً، او تكون في تقديره متعسفة مغالية.

وقد يختلف علماء التربية في تقدير درجات الذكاء، ذلك لأن تجارب اختبار الذكاء دلت على مفارقات يتعذر معها اعتبارها قياساً صحيحاً، وسواء أدرجت خيرية في عداد الأذكياء، أو لم تدرج، فلا ريب في انها فتاة مجتهدة تواصل ما تبدأه من عمل مواصلة منهجية سديدة، وتنذر نفسها لكل عمل تؤمن به حتى تجيده وتحسنه، وهي لذلك ترحب بكل عبارة نقد توجه اليها ما دامت مبرأة من الهوى، وتنتفع بهذا النقد في تعويض ما فاتها وفي استكمال ما قد يكون لديها من قصور. والرأي عند اهل الرأي ان خير الناس هم الذين يوسعون صدورهم للنقد، ويرحبون بالتقريظ، لأن النقد اذا صح ساعد على الكمال، ولأن المنقود اذا انتفع بآراء غيره استطاع ذات يوم ان يتأبى على النقاد والمصاولين.

وحديث خيرية لا يمل. ومجلسها لا يسأم، لأنها خصبة الذهن، عذبة اللسان، تتكلم من فيها درراً، وتعرف كيف تحاذر من العبارات ما يجرح المشاعر. ولعلها – والحال كذلك – قادرة على ان تنخرط في سلك الدبلوماسيين، لأنها تقول الصدق دائماً حتى وان كان جافياً، ولكنها تقوله في قالب كريم من معدن كريم. وذوو الاريحية في النفوس، لا يتهمون غيرهم بالكذب الصراح، بل يقولون لهم في اسلوب مهذب رقيق ان في اقوالهم مجانبة للصواب. والاريحيون لا يقولون للمخطيء انه ضال مضل، بل يقولون له ان مسلكه في حاجة الى اعادة نظر.

وهذا داب خيرية في احاديثها. تقول الحق، وتقوله بغير رياء او مخادعة ولكنها تقوله في عبارة مهذبة عفة تتقبلها راضياً لا نافراً. والواقع اننا في حاجة قصوى الى ان نتعلم كيف نتكلم وكيف نخاطب الناس. فقد عودنا اهلونا على ان نتكلم بكل شيء، ولا نجعل رقيباً على السنتنا، وترتب على ذلك ان عرفت البذاءة سبيلها الى حياتنا اليومية، وصارت الاذان تصطك في كل مكان بالنابي من العبارات. وينبغي لامة يحترم افرادها انفسهم ووطنهم ان يتكلموا كما يتكلم ابناء القرن العشرين لا ابناء الغابة الذين يخالطون الحيوان ويأخذون عنه فجاجة تصرفاته ورعونة مسلكه.

وخيرية لا ترى في الحياة احجية ماء، ولا ترى فيها ما يدعو الى الحيرة والقلق ومرد هذا الى انها اوجدت لعقلها الراجح مكاناً في حياتها اليومية، تستعين به على حل كل معضلة، وتهتدي به اذا ما صادفها مشكل ذو عقد. فالعقل والعاطفة صنوان يتعين ان يسترشد بهما كل انسان فلا يغلب العاطفة تغليباً دائماً، ولا يتمسك بالعقل تمسكاً جازماً على حساب العاطفة. فالميزان دقيق، والكتفان شديدتا الحساسية تتأثران باقل مؤثر واهونه.

واذا كان لي من رغبة ابديها، فارجو وآمل ان يكون لخيرية مكان مرموق في الجماعة العاملة، اعني ارجو ان تعترف لها الجماعة بمزاياها العالية وشمائلها الغر ونيتها الخالصة. فهي من العاملات بانزواء، المجاهدات من وراء ستار.

القاهرة — وديع فلسطين



السرتفيكا

بقلم نجاتي صدقي

قصة

لنرجع معاً الى سنة ١٩١٨ وقت ان كنت في الثانية عشرة من عمري ، اما المكان فهو مدينة القدس ، اما الوضع فشوارع القدس القديمة والجديدة تعج بالجنود الانكليز والمتطوعين العرب ، ويجد المرء هنا وهناك بعض الاهالي يبيعون البستهم لرد غائلة الجوع عنهم ، ومنهم من يستجدي الجنود الانكليز طالباً « البقشيش » ، ومنهم من يقف في صفوف طويلة ينتظر اخذ حصته من ارز ودقيق ، ومنهم من يسعى سعياً حثيثاً للتجند في فرقة المتطوعين للسفر الى الحجاز .

***

كان والدي وقتئذ رئيساً في قوات الملك فيصل ، ومركزه مدينة حلب ، وعمله عضو في المجلس العسكري ، واسمه بكر صدقي الاي أميني . اما انا فكنت مع جدتي في القدس اعمل على مساعدتها بالرغم من صغر سني ، ولجدتي هذه اثر كبير في نفسي ، فطالما ولجت بي في عوالم خرافية مليئة بالغيلان ، وبالاشباح المتكلمة ، وبالاذرع التي تناول الطاس للمستحم في الحمام عن بعد عشرة امتار . يضاف الى ذلك ما كانت ترويه لي من حوادث وقعت لها بالذات وهي عائدة من السهرة او من الحمام تثير الهلع في قلبي فاذهب الى فراشي ورأسي مشحون بشتى الخيالات والصور ، وكثيراً ما كنت استيقظ من فراشي استنجد بجدتي فتهرع الي مهدئة ، فتمسد رأسي بآية الكرسي ، ثم تلقط خوفي بان تضع يدها على بطني وتقول : يا خايف يا مخوف يا من عن الموت تصرف ، بحياة ستنا حواء وابونا آدم تخرج من بني آدم الخ.. فتهدأ اعصابي وانام الى جانبها وانا اسبح في عرقي الى ان تلوح تباشير الصباح .

وحل يوم عقدت فيه النية على ان اترك جدتي عند اهلنا في القدس واذهب بمفردي الى مدينة حلب ، فابتاعت لي جدتي بذلة عسكرية مهلهلة ، وقبعة تخفي نصف اذني ، وحذاء جنود كبير الحجم ، وشرائط تلف على الساقين ، فلبستها كلها ووضعت على ظهري صرة فيها حرام وصابونة ومنشفة واربعة ارغفة . وكانت وثائق سفري عبارة عن جواز سفر في شكل ورقة ، وكتاب بالانكليزية من دائرة الحاكم يفيد بانني ذاهب الى حيث والدي في حلب ، وحملت في جيبي نصف جنيه فقط .

وودعت جدتي وداعاً موثراً ، فزودتني بادعيتها ونصائحها ويممت وجهي شطر محطة السكة الحديدية .

كنت اعتقد ان جواز السفر هو تذكرة سفر ايضاً ، فلما حاولت دخول باب المحطة اعترضني الموظف المسؤول قائلا : الى اين ؟.. قلت الى حلب. قال : واين تذكرة السفر ؟..قلت: ها هي .. وقدمت له جواز السفر . قال : هذا جواز سفر يا بني يخول لك حق السفر والعودة اما تذكرة السفر فهي ان تدفع ثمنها ، ونحن لا نبيعك تذكرة الى حلب وانما الى حيفا فقط . وهناك تبتاع غيرها الى الشام ثم تبتاع غيرها الى حلب. قلت : وما ثمن تذكرة السفر الى حيفا ؟.. قال :خمسة وثلاثون قرشاً في عربة البضائع . فترددت قليلا وقلت في نفسي ادفع خمسة وثلاثين قرشاً فيتبقى معي خمسة عشر قرشاً ، وهل تكفي لوصولي الى حلب ؟.. فاستعجلني الموظف قائلا : اسرع يا بني فالقطار سيتحرك .

واسرعت الى شباك قطع التذاكر ، وابتعت تذكرة الى حيفا ، واتجهت الى عربة الشحن المختصة بركاب الدرجة الرابعة ، ولما كان باب العربة عاليا ولا استطيع الصعود اليه فقد تبرع احد الحمالين برفعي ودفعي الى داخل العربة ، وهناك وجدت امرأة مع ولديها احدهما رضيع والثاني حدث من جيلي واسمه غريب .

تصادقت مع غريب وكنا نجلس على حافة باب العربة ونلوح باقدامنا في الهواء ونردد اغان كانت شائعة في تلك الايام الى ان وصلنا محطة اللد ، وكان على المسافر الى حيفا ان يقضي ليلة في هذه المحطة حتى يأخذ في صباح اليوم التالي القطار القادم من مصر .

وبرزت مشكلة المنامة فقيل لي ان الفندق الوحيد في المحطة هو ثلاث خيمات منصوبة الى جانب الخط الحديدي واجرة المنامة فيها عشرة قروش فدفعتها وتبقى لدي خمسة قروش يترتب عليها ان تبلغ بي حلب !.

وفي الساعة العاشرة من صبيحة اليوم التالي اقبل قطار القنطرة فاخذت مكاني فيه بالقرب من ام غريب وولديها ، فسألتني هذه السيدة بشيء من العطف : كيف تسافر الى حلب وفي جيبك

خمسة قروش ؟.. واين ستقضي ليلتك في حيفا؟.. فكان جوابي: لا ادري ، لاعتقادي بان الحلول ستهرع من تلقاء ذاتها ولو انني اجهل تماماً كيف ستكون ومتى .

واخيراً قالت لي السيدة: ستكون الليلة ضيفاً علينا في حيفا، وغداً صباحاً يرشدك غريب الى قطار دمشق فتواصل سفرك برعاية الله.

ووفت السيدة بوعدها فذهبت بي الى دارها ، وهي تقع في زقاق قذر ، وتعشيت ما تيسر من خبز وزيتون، ونمت على فرشة مدت في معبر البيت، وكان الغطاء لباسي ، والمخدة صرة حوائجي، واستغرقت في سبات عميق كان يقطعه علي احياناً قرص البق المتواصل ، وصوت عزف على العود وغناء ام غريب بمصاحبة صوت رجل ، وقرع اقداح وقهقهات ممزوجة بالدلال !

واستيقظت في الصباح فوجدت غريباً بانتظاري وافادني ان والدته لا تنهض الا عند الظهر وهي ترجو لي كل توفيق، ورافقني الى محطة الشام .

ولما سالت بائع التذاكر عن ثمن تذكرة من الدرجة الثالثة الى دمشق قال : جنيه ونصف ، فشكرته وذهبت توا الى القطار فدخلت احدى عرباته ، ووضعت حوائجي تحت مقعد ، ووقفت عند النافذة اتفرج على حركة القطارات، وفيما انا ساه سمعت صوتاً يقول : هات تذكرتك يا صبي !. فوجمت ولا ادري ما الذي دفع احد الركاب لان يقول له: هذا الصبي يعمل في المحطة!. فسألني : أحقاً انك تعمل في المحطة ؟.. فاجبته بالتأكيد، فتركني وشأني.

وبعد ساعة جاء مفتش آخر فكنت اراقبه حذراً فكلما انتهى من عربة سبقته الى غيرها وعندما يقف القطار في محطة ما انزل منه واعود مسرعاً الى آخر عربة قد شملها تفتيش المفتش.

وقبل ان نصل محطة درعا جاء مفتش ثالث فما كان مني الا ان صعدت على سطح احدى العربات واستلقيت على وجهي حتى ابتعد الخطر . وبعد ان مررنا بدرعا جاء مفتش جديد وطلب مني التذكرة وانا اقف الى جانب النافذة مأخوذاً بمنظر حية رقطاء تقف على ذنبها ، واخذت اتصنع البحث عن التذكرة مرتبكا ، ثم اغتنمت فرصة انهماك المفتش بالحديث مع فريق من الركاب فتسللت من بينهم وتركته يبحث عني ذاهلا ، وكان مخبئي في هذه المرة تحت المقاعد .

وحدث في الطريق ان عطشت ولم اجد في القطار ماء ، ووقع نظري بالمصادفة على حافظة ماء معلقة في غرفة احدى عربات الدرجة الاولى، فدخلتها وكانت خالية من ركابها ورحت اطفيء ظمأي بماء الحافظة ، ولم اكد انتهي من الشرب حتى سمعت صوت رجل يوبخني قائلا : كيف تجرؤ ايها الصبي على شرب ماء الضابط الانكليزي ، انها مياه معدنية جلبها معه من الهند ، ثم تقدم الضابط مني ضاحكاً وقال : لا مانع عليك ان تشرب ماء الحافظة لكن كان عليك ان تطلب اذناً !.

واخيراً اقبلنا على دمشق وكانت الساعة قد بلغت الحادية عشرة ليلا ، وصعد مفتش في محطة القدم ليفحص التذاكر ، وفي هذه المرة خانتني الحيلة ووجدت نفسي امام المفتش وهو يطلب مني تذكرة السفر على عجل ، ولا ادري ايضاً كيف وضعت يدي في جيبي واخرجت منها رسالة التوصية المحررة بالانكليزية وقدمتها له .. ففتحها وقربها من فانوسه وقلبها وهو يجهل مضمونها لعدم معرفته الانكليزية وسألني : من اين انت آت ؟.. قلت : من القدس . قال : والى اين وجهتك ؟.. قلت : الى حلب . وبعد ان انعم النظر في الرسالة عثر على كلمة Aleppo وهي الكلمة الوحيدة التي ادركها من الرسالة ولعل معرفته اياها تعود الى كثرة رؤيتها مكتوبة على صناديق البضائع ، او على عربات الشحن ، فهز رأسه موافقاً وقال : نعم .. الى حلب ، ووضع الرسالة بين مقرضه واحدث فيها عدة ثقوب واعادها لي.

وقضيت ليلة في دمشق في فندق « المنظر الجميل » تعرفت فيها الى جميع انواع الحشرات مقابل خمسة قروش فقط .. وفي صبيحة اليوم التالي هرولت مسرعاً الى القطار الذاهب الى حلب وسألني الموظف المسؤول السؤال المشهور: اين تذكرتك ؟.. فاجبته صراحة بانني لا احمل ثمن تذكرة ورجوته ان يسمح لي بالسفر الى حلب مجاناً ، وافهمته بان والدي موظف عسكري كبير وسيدفع له ثمن التذكرة مضاعفاً.. فهزىء بي واشاح بوجهه ساخراً .

وما هي الا دقائق معدودات حتى رايت ضابطاً يقف بالقرب مني حانقاً ويتمتم قائلا : لعن الله هذا الجندي ، فقد تأخر عن الحضور والقطار على وشك السفر . فقلت له : اتأخذني معك بدلا منه اذا لم يأت؟.. فتطلع الضابط الى مصدر الصوت فوجد صبياً يلبس بذلة الجنود بشكل مثير للضحك ، وقال مبتسماً : لاي جيش تنتمي؟.. وقصصت عليه قصتي، فعطف علي، ولحسن حظي ان جنديه تأخر عن المجيء فاخذت مكانه حتى بلغنا حمص حيث تركني الضابط وقال لي مودعاً : لديك تذكرة صالحة حتى حلب ، وستصلها في منتصف الليل ، فخذ هذه الرسالة الى

ما هي السينما والى أين تسير

بقلم صلاح دهني

ديبلوم الاخراج من معهد الدراسات السينمائية العالية في باريس





كان هنالك من مجهول في عالمنا اليوم ، عالم المعرفة والاطلاع ، فهو فن السينما . والذي يزيد هذا الجهل ظرفاً ، ان السينما هي اوسع الفنون انتشاراً واكثرها محبين وهواة وزبائن ، موزعين في جميع نقاط الارض . ورغم سعة هذا الانتشار ورغم ان عدد من يرتادون الصالات المعتمة يتجاوز ٢٥٠ مليون كل اسبوع ، فليس هناك سوى عدد محدود ، محدود جداً ، قد لا يتجاوز عدة آلاف فقط ، من الفنيين الذين يفهمون تمام الفهم ما هي السينما ويقدرون حق التقدير فنها وامكانياتها ومستقبلها .

لقد قام فن السينما في الاساس على كذبة . وهذه الكذبة ولدت مع مولد السينما منذ خمسة وخمسين عاما ، وما تزال تتجدد في كل يوم حتى اصبحت في نظر الناس طبيعية ، عادية لا تدفع .

ظهرت السينما « كفرجة » ياتي الناس لمشاهدتها بعيون واسعة مدورة تملأها الدهشة وحب الاطلاع . فاستولى عليها التجار منذ ظهورها تقريباً وجعلوها مجالهم الخاص الذي لا يمكن ان ينازعهم فيه منازع . اقول منذ ظهورها تقريبا لان السينما اول ما ظهرت لم تكن تضطر الانسان الى جمع اموال الارض والسماء وحل تعقيدات لا يفهمها سوى رأس رياضي ، لكي يتمكن من تصوير فيلم كما هي الحال اليوم . كان كل شيء بسيطاً : يشتري الانسان كاميرا ويشتري الفيلم الخام بالمتر ثم ينزل الى الاسواق ويتجول بين الحارات او المتنزهات يصور هنا وهناك ما يريد ، وفي المساء يعطي الفيلم للتحميض والسلام . ولكن الاثمان ما زالت تتصاعد والفن « تكنيك » يتعقد كالتصوير بالانوار الاصطناعية بعد ان كان التصوير فيما سبق يجري دوماً تحت نور

« اوتيل فكتوريا » وهناك تقضي ليلتك في حجرتي الخاصة .

وصلت حلب ليلا ، ولما كانت المسافة بعيدة بين المحطة والفندق اقنعت احد الحوذيين ان يحملني الى الفندق على ان يأتي في اليوم التالي الى السراي ليقبض اجره ، ففكر الحوذي قليلا ، وتأمل هذه الشخصية الغامضة وقال : امرنا لله .. تفضل !. ولما بلغت الفندق وحاولت دخوله حصلت بيني وبين خادمه مشادة فهو يمانع في دخولي وانا اقاومه ملوحاً برسالة الضابط ، ولما سمع اصحاب الفندق صراخنا اتوا مسرعين واخذوا الرسالة وفضوها واطلعوا على فحواها ، وبعد ان تبادلوا النظرات قالوا للخادم : قده الى غرفة الضابط ولكن اقفل عليه الباب حتى الصباح !..

وفي صبيحة اليوم الخامس من هذه الرحلة المضنية بحثت عن منزل والدي حتى اهتديت اليه ، فطرقت الباب ، ففتحه جندي ، وسأله والدي من الداخل : من الطارق ؟.. فاجابه الجندي بسذاجة : صبي في لباس القوات البريطانية !؟.. فخرج والدي مسرعاً وهو في لباس النوم ، وكانت قبلات ممتزجة بدموع الفرح ، وحين جلسنا الى مائدة الغداء رويت له قصة سفري من القدس الى حلب ، فذهل لها ، وكنت اتوقع منه تعنيفاً لكنه على العكس من ذلك ربت على كتفي وقال : الآن فقط نلت « السرتفيكا » الابتدائية من مدرسة الحياة ، وعليك ان تستعد لنيل « المتريك » !..

نجاتي صدقي

الشمس ، والحكومات ما زالت تشرع القوانين في تنظيم مهنة السينما في طوري الانتاج « التصوير » والاستهلاك « الصالات » الى ان اصبحت مهنة السينما مهنة بكل ما في هذه الكلمة من معنى.

ومنذ ذلك الحين ، اي السنوات الاولى من هذا القرن ، تالفت الشركات الكبرى في فرنسا حيث ولدت السينما لتضعف وتنحل فيما بعد وليقوم مكانها غبار من الشركات الصغيرة تعد بالعشرات والمئات وبدأ تأليف الشركات الامريكية الكبرى ايضاً التي كتب لها ان تبقى وتزدهر وتتوسع الى ان تجعل من اسم القرية الصغيرة التي كانت تدعى هوليود ، اشهر اسم تتناقله الالسنة والى ان يسيطر انتاجها على اسواق العالم السينمائية ، حتى في البلاد الكبرى [فيما عدا الاتحاد السوفياتي] .

هكذا تنظمت السينما واصبحت مهنة ، اصبحت تجارة وصناعة بالدرجة الاولى ، تطبق عليها قوانين التجارة والصناعة كما يمكن ان تطبق على تجارة الارز في الهند او على صناعة الاحذية في بوسطن . واما الفن فلا شيء . لقد بقي في آخر درجات السلم ، في الاسفل . يخرس عندما يتكلم الدولار او الجنيه ولا يسمح له بالكلام الا عندما لا يؤثر على عواطف الدولار او الجنيه .

وهنا الكذبة الكبرى التي قامت عليها السينما من الاساس. لقد جعلوا منها تبعاً للدرهم ونظموها وقيدوها بالقوانين والقرارات الصادرة عن غرف التجارة لا عن دوائر ووزارات الشؤون الاجتماعية . وهل سمعنا بفن يمكن ان يفهم معنى التنظيم او التقييد ؟ الفن ابن الحرية والخلق المبدع والشعور الطوعي الذي لا يعترف بالتزويق الا كخادم لا كسيد في هيكل الروح.

أكان فانشي يرسم تلك الوجوه الحلوة ذات الخطوط اللطيفة الانيقة لو ان تجار اللوحات او اصحابها فرضوا عليه جملة من الالوان الفاقعة بدلما كان يختار ويضع هو نفسه من الوان، بحجة ان الالوان الفاقعة تضرب النظر اكثر من غيرها وهي من ثم اجمل للنظر بالنسبة للزبائن والى عامة الناس ؟ أكان ميكلانج ينحت لنا تمثالا من نوع النبي موسى لو انه اقام وزنا لرأي اصحاب الرأي ، عندما اخذته فكرة نحت تمثال بهذا الحجم الكبير الذي نعرف .

وبتهوفن أكان يبدع في سمفونيته الخامسة او التاسعة بالشكل الذي نعرف لو تدخل بعضهم في عمله الفني واجبره على حذف بعض المقاطع منها مثلا ، او لو طلب الى ديبوسي ان يطيل بعض الاغاني التي وضع موسيقاها والتي قد لا تتجاوز مدة غنائها الدقيقة والدقيقتين في بعض الاحوال ؟

هذا كله دون التعمق في التشويه الى حد التدخل في محتوى التحفة التي يبدعها الفنان . كأن يطلب الى فانشي ان يقصر الانف ويلطفه في بعض لوحاته والى ميكلانج ان يقلل من ضخامة ساقي موسى ، او الى بيتهوفن ان يخفف من ثورته في الخامسة او ان يزيدنا رومانسية في لهجة التاسعة !

كل هذه اشياء مستحيلة ، سخيفة ، عقيمة ، قد تقتل الابداع في فنون الرسم او النحت او الموسيقى لو انه يخطر للحكومات او للجماعات يوماً ان تطبقها على انتاج الفنانين . هارون الرشيد نفسه كان يتساهل مع ابي نواس . ان في عمل الخلق الفني عندما يكون شرعياً وحراً اشياء تنبعث من صميم الفنان توجه خطاه وتحرك يده وتنير له الطريق ، هي اقرب ما تكون الى الاوتوماتية التي لا تعلل ولا تقيد . وهذه تحمل في ذاتها صفات التوازن والتناسق والابداع التي يتصف بها عمل الفنان ، الفنان في كل شيء ، وهي التي تضفي على العمل شكله ورونقه ورفعة نفسه وعلو روحه التي يجدها الفاحصون فيما بعد فيحكمون للفنان بالعبقرية والموهبة او يجدونها فيحكمون على الفنان وعلى عمله حكما قاسياً او متوسطاً يتناسب وامكانياته .

***

لنأت الآن الى السينما ولننظر كيف يمكن ان نعالج قضيتها. فاما ان نعتبرها فناً يستحق كل ما للعمل الفني من ميزات ترفعه عن مستوى القيود والاعتبارات المادية ، واما ان نعتبرها صناعة وتجارة خاضعة لهذه القيود ولهذه الاعتبارات .

نلاحظ منذ النظرة الاولى ، ان السينما لم تتحقق الى اليوم على شكلها الاول الا في النزر النادر جداً الذي لا يقاس عليه . بل حتى في هذا النزر النادر لم يكن فنها متحرراً كل التحرر بالدرجة التي رأيناها في انتاج الفنون الاخرى . فالى جانب الاعتبارات المادية التي يضطر الفنان السينمي لمراعاتها مهما ترك لمخيلته العنان بسبب توجيه التحفة السينمية الى صالات الشرق اي الى الاسواق التجارية التي تتلقى زبائن من جميع الطبقات الاجتماعية والفكرية،هناك اعتبارات فنية «تقنية» يحسب السينمي حسابها . فهو مثلا غير قادر على تصوير الشفق الذي طالما ابدع الشعراء والكتاب في تصويره ، مما يتطلب وجود الكهرباء في المنطقة او وجود سيارة خاصة مولدة للكهرباء ، وهذا لا يكفي اذا لم تكن هناك اللمبات الكافية وحتى وجود اللمبات لا يكفي

الا انارة منطقة محدودة . ثم هناك مشكلة الصوت ووجوب استعمال آلات دقيقة يديرها اخصائيون ، وهي رغم دقتها لا لا تتمكن من تسجيل جميع ما تستطيع الاذن الانسانية تمييزه ، كحفيف الملابس ، ووقع الخطوات الخفيفة الخ ...

وهكذا تكون عبودية السينما ضربة لازب لا يمكنها ان تتخلص منها . ومما يزيد في خطر هذه العبودية ان السينما قد قامت منذ الاصول على اسس تجارية وصناعية كما رأينا . فالفنان هنا يجب ان يأخذ بعين الاعتبار ايضاً جميع الاشياء التي وجدنا في الفنون الاخرى انها مستحيلة وسخيفة وعقيمة وانها يمكن ان تقتل الفن من اساسه . فصاحب المال هنا يجد لنفسه كل الحق في ان يتدخل في عمل الفنان لا بصورة سطحية فقط كانه يفرض عليه طولا معيناً للفيلم كما يجب ان يعرض في الصالات ، بل في محتوى الفيلم نفسه ايضاً . فقد لا يوافق مثلا على اخراج موضوع مما يقترحه المخرج ويجده هو غير تجاري ، او انه يوافق ثم يطلب الى المخرج ادخال كمية من السيقان هنا وكمية من الزنود هناك اوفتح ثوب الممثلة اكثر مما يتطلب الموقف ، او ادخال قبلة عند التقاء الحبيب بحبيبته ولو كان ذلك امام الاهل رغماً عن العادات والتقاليد المتعارضة ، وقد يشتط فيه طلب اغنية في مقبرة تدوم ربع الساعة مع اعواد وطبول وزمور ! او اغنية في اول لقاء غرامي بين حبيبين رغم علمه التام بان للحبيبين عندئذ مشاكل اخرى يفكران فيها بدل رفع العقيرة بالغناء وتبادل الابتسامات الرقيقة بين السحابات ! والغريب في هذا كله انه ما ان يقرر المغني ان يغني الا وتنبع من ملكوت السماوات

ومن حيث لا يشعر المشاهد ولا يرى اصوات الآلات وضجة الموسيقى التي تتقدم بكل لطف ومجاناً لمصاحبة الغناء ، ولو كان المشهد يدور في وسط الصحراء او على رأس ابي الهول .

لا تنفرد السينما المصرية فقط في هذا بل تشاركها السينما الهندية هـذا الشرف في اغلب انتاجهـا هي الاخرى مع انه يبلغ حوالي ١٥٠ فيلماً في السنة . فهنا ايضاً اضحت السينما ، هذه الواسطة الجديدة للتعبير الفني ، اداة للتسلية العامة حسب كلمة قالها المخرج الهندي احمد عباس فهي مزيج غريب من الاوبرا والمسرح والموزيكهول والكاباريه ، فيما عدا منطقة البنغال التي استطاع طاغور وصحبه ان يحافظوا فيها على تقاليد امتهم ويحموها من الغزو الاجنبي الذي يحمل دوماً في طياته بذور التفسخ والهدم اذا لم يطبق بتؤدة وروية وعلم .

ان فكرة التسلية العامة تنطبق ايضاً على روح الانتاج في فرنسا وانجلترا وخاصة هوليود . ولن نتوسع هنا في فحص كل حالة على حدة واستعراض معائب كل سينما في كل من بلاد العالم الكبيرة ، ونكتفي بمثال هوليود . فهل ننسى ان هوليود هي التي خلقت التكنيكولور هذه الطريقة في التلوين التي استعملت في اغلب الاحيان استعمالا مخجلا داخل الولايات المتحدة والتي ابدعت بعض الافلام الانجليزية فقط في استعمالها استعمالا شريفاً . هل ننسى هذه الالوان الثلاثة التي تغلب عليها : الاحمر والازرق والاصفر والتي لا نعرفها في الطبيعة على الشكل الذي نراها عليه هنا الا نادراً . هذا هو التكنيكولور : الوان صارخة تبهر النظر وكانها تصيح في النظارة بصوت احمق « انظروا كم انا جميلة ! انظروا كم انا غنية ! »

ثم ان هناك المواضيع التي تطرقها هوليود وهي موجهة منذ الاساس لان تجعل من السينما تسلية عامة . ولكن الذي لا شك فيه هو ان هوليود قد جعلت من هذه التسلية فناً عالياً ونوعت مواضيعها وطرقها واشكالها والوانها . لقد جعلت منها هدفها الاعلى ، وهنا الفرق بين الفيلم الهوليودي والفيلم المصري او الهندي او التركي . في هوليود فنانون يقومون على شؤون هذه الآلة الضخمة التي تنتج مواد التسلية ، تتناسب مع سعة الاسواق التي توجه اليها ومع ذوق وثقافة الجمهور ايضا . هناك فنانون لا يصل امرهم الى سدة الاخراج والمسؤولية الا بعد ان يبرهن امام الرؤوس الناقدة الذكية عن مقدرة وامكانيات وفهم وعلم غير متأثر بعلاقة او صحبة او مال . ان الفن لا يقدر الا بالنتائج لا بالكلام والثرثرة

وهنا نعود الى فكرتنا الاولى . ما هي السينما ؟ اهي هذه التسلية التي وصلت مع هوليود الى قمتها ؟ لا ، الاحصاءات الاخيرة تبرهن على ذلك . نعم لقد بدأت هوليود تعجز وتشيخ. لقد بدأت منذ نهاية الحرب باعطاء بعض الاشارات واظهار بعض الاعراض التي تدل على ان عهد السينما المسلية بدأ يشرف على نهايته وان هذه الكذبة الكبرى اضحت بحاجة الى تصحيح . فالاحصاءات التي تأتي من امريكا تدل على ان الناس ما عادوا يرتادون دور السينما بنفس نسبة ما قبل الحرب. وكذلك الامر في فرنسا وانكلترا. وهذا لا ينطبق على ايطاليا التي تعيش في الوقت الحاضر ومنذ انتهاء الحرب في دور انتعاش هائل بدأ يعطي أكله في التأثير في سينمات العالم المتمدن وحتى في هوليود ذاتها . فقد ارتفع الانتاج في هذا البلد ارتفاعاً هائلا لم يعرفه منذ حوالي اربعين عاماً، ايام العهد الذهبي للسينما الايطالية، الذي نامت بعده على اكاليلها ، حتى ظنها الناس ميتة الى الابد.

ما هي اسباب الانتعاش الذي ارتفع وغزا البلاد الاخرى وأثر حتى في هوليوود ؟ انها بكلمة واحدة ، اسباب ذاتية تابعة للمواضيع التي يختارها المخرجون الطليان الكبار طبعاً ومقلدوهم في افلامهم وفي طريقة الاخراج . وكلمة الواقعية التي توصف بها المدرسة الايطالية الحديثة في الاخراج السينمائي كافية لتدلنا على محتوى هذه الافلام وطريقة تقديمها. نعم ان الافلام الايطالية التي قضت قوانين التجارة والتوزيع بألا نراها تعرض في بلادنا إلا فيما ندر لفسح المجال امام كل ما تلقي به الينا هوليوود من حسن ومن عاطل ، لتحمل طابع عصرنا ، عصر الجماهير الذي يحب الحق والصدق في معالجة جميع المشاكل ولا يتحمل الكذب والتركيب والتضليل . انها قطع من الحياة قد تصور حي البنات كما تصور الكنيسة، وتظهر الفقر والمرض كما تظهر الغنى والقوة وتعالج من المشاكل ما لم تقاربه هوليوود في حياتها الطويلة الا في مرات معدودات، كمشاكل العمال والاضرابات وحقوق المواطنين جميعاً في حسنات العدل الاجتماعي وحق الجميع في العمل والتأمين الاجتماعي والتأمين ضد المرض والشيخوخة وحوادث العمل... هذا كله يعرضه المخرج بصورة مهذبة، فنية، انسانية وكأنه يقص قصة واقعية لا يرجو من ورائها تهليلا وتكبيراً وتصفيقاً .

نعم لسوف تدول دولة هوليود اذا هي تعنتت في موقفها وواصلت اخراج اشرطة من تلك الانواع التي اشتهرت فيها والتي يعرفها كل الناس . لقد اشرفت على الاختناق في هذا العالم السحري الذي سماه الكاتب الاميركي اللاذع المر رايس بعالم «بيوريليا» الذي لا يعرف اصولا ولا شبيهاً في عالمنا الارضي فهو ابن الخيال والمصطلحات وكل ما ليس من الواقع في شيء الا ان هوليود ستخرج من هذا العالم العفوي والمؤسف ان هذا الخروج لم يبدأ ولن يتم الا بدفعات وهزات تأتيه من خارج لا بحركات داخلية . ولهذا يمكن لبعض الناس ان يتساءلوا ان كانت هوليوود ستتمكن من التلاؤم بسرعة مع تطور العصر وتخرج من عالم « بيوريليا » الى عالم الناس والواقع ، قبل ان تحل محلها الافلام الايطالية وغيرها . ولكن الذين يعرفون منطق هوليوود ، وهي بعد كل شيء مدينة امريكية ، يقدرون منذ الآن بان هذا التطور الذي بدأت علاماته بالظهور في السنوات الاخيرة سوف يتم باسرع مما يقدرون .

***

من كل ما ذكرنا نخلص الى نتيجة هي ان السينما فن مجهول ، مجهول حتى من عدد كبير من الذين يخدمونه ويقدمون مقدراته. وقد تراكمت جميع الاسباب لكي تجعل منه ضحية كبيرة : اسباب ذاتية ، اسباب فنية ، اسباب مادية وهناك نفر قليل يدافع عنه كفن يعبر عن واقع الحياة ، هذا المنبع الذي لا ينضب للقصص الانسانية الخالدة ، بين مخرجي هوليوود وفرنسا وانكلترا وايطاليا وغيرها من البلاد . وهم لا شك قلة ولكنها قلة قوية لانها تسير حاملة مشعل الفن الحق الوضاء تستنير به ، ويؤيدها الفهم العميق والذكاء العالم .

دمشق — صلاح دهني

فـم

مهداة الى خليل تقي الدين



وردة ذاك ام فم أم من النـار برعم
فوقـه الشوق لاهث والأمـاني تغمغم
خلف ظل من الأسى طاف فيه ... يهوم
بسمة الجرح ... من رأى شفة الجرح تبسم ؟!

***

هو في البـوح لهفة وصـلاة تتمتم
واذا ضم خلتـه زر ورد يلملـم
ذائب الطل عن شفاه تلظى بهـا الدم
حيث تخبو ابتسـامة مات فيهـا الترنم !

***

ثغرك الحـلو برعم يستحي حـين يلثم
جرحتـه مـع الضحى بالصبـابات أنسم
وله الغيم قـد هفـا وهمت منـه أنجم
وبه البدر ذاهلاً راح في الليل يحلم !

***

اطعميه ! ... فعندنا كرز السفـح يطعم
وامنحيـه ! ... فليس في قبلة الورد مأثم
واغنمي الحب قبلمـا زمن الحب يصرم
وتعضين اصبعـاً فوقهـا البخـل يندم !

***

يا فماً في كلامه عبق الوجد يكتم
أنت فردوسنـا الذي منه تومي جهنم ! !
ثمـر من جنـانه وشراب محرم !
نغمة الحب ... صاغهـا للاساطير ملهم !

فؤاد الخشن

من اسرة الجبل الملهم



بقلم زهير نامي



هو ، عال ، رائع ، شباب العصر ... اهي تقليعة امبركانية جديدة؟؟!!فردة حذاء لماعة كزيت الشعر فوق رأسك واخرى وسخة كذقنك ، اتحاول ان تثبت انتماءك الى فصيلة الفنانين .. لقد امتلأت عاصمتنا بهم ولله الحمد ... ثم انك قروي وستظل قروياً في هيئتك ولو سكبت «حلة» زيت شعر فوق رأسك او مسحت فردتي حذائك لا احداهما فقط وهذا أمر إلهي لا شأن لنا به نحن ابناء المدن الكبرى. لا شأن لنا به ، امر الهي !!!

ـ اقرضني ثمن شفرة حلاقة اريد أن ازيل هذه الملعونة .

ـ تشرفنا ، عال،خذ فرنك آخر في ذمة التاريخ لا في ذمتك

ـ اعطني سيجارة ، ما اسخف من اخترعها لعله أحد مؤسسي علم(الأمراض النفسية)أراد ان يروج بضاعته،وعلى كل فهي شيء متمم للمدنية ، لقد قال هذا الفيلسوف . يا ، يا ربي نسيت اسمه.

ـ لعلك أنت! من يدري،ربما لا شيء مستحيل.

ـ المدنية، التطور، المادة ، ثم الروح ، تفو بصقة في وجه الجميع كاللعنة،هات كبريتة،وتستقر السيجارة بوحشية بين الشفتين السمينتين وتشبث بها صاحبي بين اصابعه ملء كفه شأن من لا يثمر بها الا تطفلا ويضعها مع كفه جميعه في فمه وكأنه يريد ان يأكلها .

ـ يبدو ان أعصابك ثائرة،ولكن لاصارحك: ان افكارك الساخنة يا عزيزي «حمشو» فارغة رغم مثاليتها وثورتها

ـ او سألتك رأيك ؟ ثم لماذا لا تقول انها عظيمة ؟ أترى كبار المفكرين كانوا أبرع مني في «العلاك» !!؟

لا وربي ، قل لي بحياة امك من تظن نفسك ؟

ـ أنا ؟ هه !!! ولكن دع امي جانباً .

ـ نعم انت او تظنني أؤمن بعبقريتي ايمانك بعبقريتك لاهاجم المثل العليا ، والروح ايضاً والروح يا لك من جاحد !!!

ـ هه ، سخافة !!! عبقرية !!! مثل عليا !!!

ـ حمشو ... ـ نعم. ـ أجب ، من تظن نفسك ؟

ـ دودة يا عزيزي ، دو..دة لا أكثر ولا اقل.

ـ اطراء عظيم، يا لك من مغرور،ما هذا التواضع ؟ ـ تواضع العظماء يا عزيزي ألا تعرفه ؟! وعلى فكرة اسمع،لقد مسحت حذائي لا تنظر الي هكذا اتخشى على فرنكك ؟

انه كل ما املك ، كانت آخر ربع ليرة قذفت بها «البويجي» قبل ان افر اليك ، تربعت على الكرسي الدوار في صالون الملوك الفخم ... لقد سال لعابك ، انه ليس مطعماً انه لمسح الأحذية ليس الا، لقد كان اللعين يتكلم في السياسة .. و..

ـ كم ابغضها .. و...

ـ لم اسألك رأيك المحترم، ولا أدري لماذا صمت فجأة كأبي الهول ثم تدفق يتحدث عن الحب ، الحب !! أتعرفه ؟

ـ لا يا حمشو ، انا طفل غرير مثلك ، جديد في « الصنعة»

ـ تفو ، اللعين القذر، لم يكن دودة ـ كما اكتشفت فيما بعد فحسب ـ بل كان اقل من دودة ، دودة عمياء ولعمري لو صنف «داروين» الدود لوضعني في مرتبة عليا بالنسبة اليه ، تفو مادي لا يفهم ، لقد كان يحكي قصة لزميله وهو ينظر الي مستأنساً كأنه يريدني ان استمع له او ان يكتشف آثار الرضا تشيع على وجهي وهو يحاول ان يبلغ « بلحسة» الدهان الشحيحة سقف حذائي العطش وجدرانه وهو يقهقه مرحاً فتستقر رذاذات كبيرة من بصاقه على حذائي وعلى « بنطلوني » بصاقه السكريه كالصابون. كانت بعض اصابع يده اليمنى مقطوعة فكان يمسك الفرشاة بطريقة، بـ...طريقة كلاسيكية، لعل هذا خير تعبير ، وان كنت لا ادري معنى هذه الكلمة هنا بالضبط ، ثم يقهقه ويمد يده القذرة الى فمه والى شدقيه يمسحها او الى منخره السيال يكفكف من اغراقه في التواضع !!! كنت صامتاً لا اتكلم ، انها عقدة نفسية تركبني كما تقولون لي !!! ولا ادري لماذا انقبضت نفسي لقد كانت القصة عادية جدا مما نتندر به خلال فترات الراحة في الجامعة ، نتندر به بمعزل عن الزميلات طبعاً فعلينا ان نصطنع الوقار امامهن في احاديثنا وكان اللعين ـ ولا ادري لماذا اطلق عليه هذا النعت البغيض الى نفسي الرقيقة !! ـ يكرر بين الفينة والفينة : انا لا اؤمن بالعواطف ، الدفع ، الدفع كما تفعل حين نشترك في ثمن الشاي اللذيذ ثم ، القرش!!! يفتح امامك مغاليق القصور والقلوب والافواه !!!

لقد دفعت «للأم»، خمس ليرات وفر اسبوع، ونظر الي مستدركاً: كانت احدى ليالي الراحة في دولاب العمل المستمر ، ثم ان لي الحق يا سيدي ان ارفه عن نفسي، نحن بشر ، وانا

عازب فالايام صعبه ثم ان العاصمة مليئة بالاغراء اوه ، النساء ، ما اروعهن ثم ان تكاليف حياتي قليلة : نصف ليرة كل يوم ، فلافل ، فول ، بصل ، اما المنامة فهنا ، الارض ، لا تؤاخذني يا سيدي ، ا ، ف ، ت ، ويمص اللعين رشفة من كأس الشاي العميق الساخن ثم يضحك ثم يمسح « مخطته » —

— انا انام هنا ، يغلق علي معلمي دكانه و... وترتفع يده ذات الاصابع المقطوعة ، الناقصة ، كشيء ناقص في حياتي ، احاول ان اتذكره او احدد افكاري فيه ليمسح « مخطته » من جديد .

— « يا سالم »، لقد كانت جميلة، لحمها كالية خروف معلوف ابيض ، ك ، ك ، كالثلج ، ان في العاصمة بيوتاً كثيرة تمتهن هذه المهنة المربحة !!! انهن كالجراد ما عليك الا ان تنتقي ، لقد فسدت الاخلاق ، انا ابدل بغيتي كل اسبوع ، كلهن جميلات ، سمراء ، شقراء ، سمينة كالبرميل ، لكنني لا احب العجفاوات انهن يذكرنني بالدود ، بالدود ، لعلهن لا يأكلن انهن يربحن كثيراً ولكن الام الشمطاء قاتلها الله، انها تتقاضى مني علاوة لكي « تنصحني » هأ ، ها .

— ماذا قلت يا رجل ، آه ، الدود ، الدود ، يا رب لقد تذكرت !!! يا رحمة الله ، يا ...

— حمشو ، دعني من قصتك ليس فيها ما يبهج ، قلت لك لا اريد ان استمع الى ترهاتك ، اتلعب شيش بيش ؟

— ولا دوشيش !! ولا « بالاربعة » ... اتشرب الشاي ؟

— ان الفحص بعيد نحن في اول العام ، دع الفحص بسلام.

— او تذهب الى السينما ، ه. هس ؛ ادفع عنك كن مطمئناً هذه آخر ليرة امتلكها ، العوض على الله .

— يا لك من كذاب ، انك تتناول راتباً من المعهد العالي ثم انك عازب ولا تساعد والدك ايضاً،ولكن ما لي ولك ؟ لكن اذهب الى السينما، هات سيجارة، تفو،قلت لك انني دودة،البشر دود ، كلنا دود ، انا ، وانت ، الجميع ، وهو اللعين البويجي ...

وهو اللعين لا يحب الدود ، ثم هو يؤمن بالواقع اي بالجيبة وما في الجيبة لا كما نؤمن انا وانت بما في العقل ، تقدم ، الى الوراء ، هذا هو معنى التطور عند البشر ، جهلاء ، ثم هو ايضاً انسان ، انسان ، مثلي ومثلك ، هكذا قال ، هو لا يحب الدود ، الدود هل تعرفه انه على انواع ، انواع عديدة ، ان البشر بعض انواعه ، الا تؤمن بذلك ؟؟ ماذا !!! لقد قال داروين بالتطور ، يا لك من متأخر كانك لا تفهم شيئاً من محاضرات الاستاذ عن التطور ...

— كف عني شرك يا حمشو ، لعن الله داروين ، عفواً لعنك الله انت .

— « يا لمخطته » وهو ينشقها كما ينشقون « السعوط » او يكفكفها باصبعيه الخالدين ، انه لا يحب الدود يا عزيزي اما انا فاحبه ، لقد قالوا عني اني مثقف ، طالب جامعي ، انال راتباً وساصبح موجهاً للجيل الجديد بعد سنة ، ثم اني اضع ربطة عنق ثمنها ثلاث ليرات وانا احد الدود، والدود البشري خصوصاً اتفهم ؟ ثم اني ارقى منه كثيراً ، هكذا يقولون، لاني لا اشتغل شيئاً اوسخ فيه يدي لا احمل الابعقلي الراقي ولاني ادفع اجرة مسح حذائي ربع ليرة في صالون فخم يشتغل فيه اجير لي ، عبد لخدمتي بعض اصابعه مقطوعة هكذا اراد القدر ، وله انف سيال كمزاريب بيتنا في الشتاء ، ثم انه لا يحب الدود ، لقد كنت افكر ان اقتله ان اضربه على ام رأسه او ان اخنق نفسي ، ان اقتله ، او تفهمني ؟!!

— يا سيدي حمشو لم افهمك بعد ولا اريد ذلك ، انا حمار .

— لقد اغتنم اللعين فرصة خلو الدكان من الزبائن لقد احب ان يسليني وان يطرد سأم النهار عن نفسي ، وماذا في ذلك ؟. طالب كبير ذو ذقن نامية كالمقشة العتيقة قد لا يفقه شيئاً من الدنيا سوى كتابة دروسه انه غدير ما في ذلك من شك وذقنه البشعة اكبر دليل على ذلك واوساخ الواقع واقذاره قد يجهلها فلم لا نفتح اعينه ؟

— لعلك تريد ان تصدع رأسي ، دعني بالله ، اريد ان احضر محاضرتي ، لا اريد ان انقلها من احد الكتب كما فعلت في المرة الماضية واكلت نصيبي من العرق والهمسات والضحكات من الزملاء والزميلات ، سامحهم الله ...

— دعني اتم حديثي لا تقاطعني يا لك من ذميم ، من الخير لك الا تحضر محاضرات علم الجمال كي تتعلم الاتقاطع المتحدث؟؟ لم تفهم ما اريد ولن تفهم ، انت تشبع رغباتك ، انت تسكن في « بنسيون » وتعرف عن العاصمة كل شيء ، وتتذوق كل شيء ، وتتمتع بوقتك وحياتك وشبابك ، اما انا فابن قرية لا افقه شيئاً واقيم في بيت الطلاب طالباً داخلياً ، انت لا تفهم ما اريد ان اقوله ، انت انانى ، انانى ...

— انا حمار ، حمار يا حمشو قلت لك هذا واعيد القول ...

— اسمع يا سيدي لقد تركت البويجي لقد اندفعت كالمجنون لقد اثارني اللعين ، لقد اثارني ولكني ارعبته حين قذفت باخر ربع ليرة معي في وجهه ...

الفعل الارادى

بقلم الدكتور ابو مدين الشافعي
اخصائي في علم النفس



قبل الدخول في موضوع العقل عامة والفعل الارادي خاصة يجب ان اشير الى «المنعكسات» ومعروف في العلوم الفسيولوجية ان النشأة في الكائن الحي عامة تبدأ في « المنعكس » ويسميه بعض العلماء « رد فعل » . فالكائن الحي يرد على ما يصادفه من احداث نشاط معين ناتج عن تمهيد طبيعي وهذا هو المنعكس

ويجب ان نميز في الانسان بين منعكس داخلي يتم بواسطة الجهاز السمبتاوي ومنعكس خارجي يتم بصورة حركة تحاول ان تبعد اي تمهيد خارجي . يجب ان لا نغفل المنعكسات الداخلية اذ ان تأثيرها كبير في نشاط الكائن الحي كالمنعكس القلبي المعدي والبصري القلبي والمنعكسات التي تحدث افرازات في القول وتؤثر في اتجاه الكائن الحي من ناحية السلوك . ونتيجة لاهمية هذه المنعكسات وقوة تأثيرها في سلوك الانسان اسرف بعض رجال الاخلاق وارجعوا السلوك الاخلاقي عند الفرد للغدد فنجد لمبروزو يحاول ان يشرح سلوك الاجرام فيرجعه لتأثير الغدد المختلفة ويعطي الغدة الدرقية اهمية كبرى .

عرفنا اذن ان الفعل المنعكس ينقسم الى داخلي وخارجي . وسنرى الآن انه ينقسم الى بسيط وشرطي :

اما المنعكس البسيط فهو يتصل مباشرة بالمنبه كأن يسيل لعاب الكلب عند رؤية قطعة من اللحم . اما المنعكس الشرطي ففيه يستجيب الانسان لا للمنبه الاصلي وانما لشرط او لعامل ثان كان يصاحب هذا المنبه فالكلب الذي تعود ان يسمع رنين جرس عند تناوله طعامه نجده يستجيب للجرس دون تقديم الطعام فيسيل لعابه . وهذه المنعكسات تلعب دوراً هاماً في التحليل فهي تعطينا الحل الوحيد لارجاع الفعل .

بعد هذا الموجز عن المنعكسات يجب ان نشير الى نشاط آخر هو « الميل » وهو اتجاه عام عند الكائن الحي يتأثر بالاستعداد البيولوجي والكيماوي . فالجسم يحتاج في عملياته الحيوية الى مادة السكر فاذا فرض ان جسما ينقصه السكر فانه سيتجه او سيحيل ميلا طبيعياً نحو السكريات يظهر في سلوك ذهني داخلي يتضح في الاحلام فيتصور الشخص نفسه في حفلة يأكل مختلف اصناف الحلوى والمثل الشائع يقول «الجوعان يحلم بسوق العيش» ويتبدل هذا الميل من الاستعدادات الكيمبائية البيولوجية ويلبي الشخص في اغلب الاحيان هذا الميل بمنعكسات اذا تجمعت تكون الفعل . فالفعل اذن يتكون من منعكسات تؤدي الى غاية تفيد الجسم او تدفع عنه ضرراً .

او هو مجموعة من المنعكسات تحاول تحقيق ميل من الميول واغلب هذه الميول تتصل بالتركيب الكيماوي الجسمي الذي تشرف عليه محطات كيمائية نسميها الغدد مثل الكبد وغدد اخرى تمكنها ان تفرز بعض المواد التي تفيد الجسم او تبعد المواد الضارة به

والافعال قد تكون واقعية او مرجأة « معطلة الى حين » وهذه الاخيرة يسعى الجسم لأن يحققها الى الخارج . فاذا

يا للسخرية ، انه لا يحب الدود ولا يؤمن مثلنا بمثل عليا ولا بافكار يا للجهل ، افكار عظيمة كافكارك .

ـ العفو ، اتسخر ؟

ـ لقد قرأنا نحن المهذبين !!! المثل العليا وشربناها ، تعلمناها في مدرسة افلاطون وروسو وكنت وسيمون وشوبنهور ونيتشه و...

ـ نيتشه ، انت لا تحبه ، انه مجنون دعه لي احبه على كيفي .

ـ انا احب الدود يا عزيزي والاجير لا يحبه ، لقد رأيتها كانت عجفاء ، كأن في بلادنا قحط ، لقد رأتني طالباً لا هيئة له ولا طعماً ، لقد اثارت في نفسي الشفقة لعلها خادمة مطرودة ، وكنت عطشاً ، لقد طلبت مني ثمن رغيف ، رغيف ، اتدري ما معنى رغيف ، عقدة نفسية .

ـ طبعا هو مادة وليس مثلا عليا او عقدة نفسية !!!؟

ـ انه دودة او ان انصفت قلت انها اقل من دودة ، انا مثقف ، اعطني شفرة ، عفواً لقد اخذت ثمنها ، اريد ان احلق ذقني ، لاشعر بانني انسان ، انسان ، انسان ، له قلب ، صاحب مثل عليا حقيقية .

لقد ساومتها ، ولا اعلم كيف ، الدودة ، ودفعت لها ثمن ، ثمن ، الرغيف ، عقدة نفسية ، تفو ، شركة الريجي الاجنبية المستثمرة ، تفو !!!

دوما — سوريا

زهير ناجي

صادفت ما يمنعها من التحقق سميت بالعقد

وهنا نجد ضرورة وجود «توازن».

والتوازن هو تفاعلات داخلية كيمائية وتداخلات حركية في الخارج . ففي الداخل يقوم التوازن مع عمليات كيمياتية ويقوم في الخارج على حركات

يمكننا الان ان نلخص كل ما قلناه في كلمة الفعل الغريزي . والغريزة اصطلاح اذ لا توجد الغريزة كقوة تسير الانسان بل هناك فعل غريزي . والافعال الغريزية بعضها يجلب اشياء للجسم و بعضها يطرد ما يضر بالجسم . ففعل الاكل يقوم على منعكس المعدة الذي يعطي الشعور بالجوع . فاذا كان الكائن في حاجة ماسة للاكل يكون الفعل اذ ذاك اجبارياً ولكنه يصبح فعلا اختيارياً عندما يصبح الأكل عملية زائدة عن المطلوب . وافعال التصريف تتم افعال الاكل وهي افعال بسيطة انعكاسية مثل التبول عند الطفل، فالطفل يبول كلما شعر بالحاجة ثم يتدخل تأثير المجتمع في هذه العملية فيتحول التبول الى فعل ارادي يتحكم الطفل فيه الى حد ما وذلك باخضاع هذا المنعكس لارادته.

ويعتبر الفعل الجنسي من افعال التصريف وهو فعل معقد و افعال التصريف مثل التبول والتبرز تشعر المرء براحة عند ادائها وقد اعتبر فرويد هذه الراحة احساسا باللذة الجنسية . وهناك فعل من افعال التصريف اكثر تعقيداً من الفعل الجنسي هو «اللعب» وهو فعل يقوم بمهمة ضرورية في الحياة هي مهمة تصريف الزائد من الطاقة . فالطفل الضعيف لا يميل الى اللعب والاطفال يميلون الى اللعب حسب قدرتهم الجسمية . وعندما يكبر الطفل يصدر عن الفعلين السالفين « اللعب ــ الفعل الجنسي » فعل آخر هو الرقص .

والرقص فعل خاضع لايقاع معين مهمته ربط الفرد بالمجتمع اذ ان اغلب الرقصات البدائية رقصات اجتماعية .

وهناك سلوك اجتماعي آخر غير الرقص هو الحرب فهناك شعوب محاربة بطبيعتها كما ان هناك حيوانات تتميز بسلوك عدائي طبيعي . ولذلك فالسياسة العامة تحاول ان توجد التوازن الدولي حتى لا تزيد طاقة بعض الشعوب فتتجه الى الحرب

وصلنا الان الى الفعل الاجتماعي في صورة اللعب والرقص والحرب .

والافعال التي تحقق الغذاء او تدفع الضرر افعال تلقائية وهي غير الافعال الاخرى الضرورية المتصلة بها . وعندما نجد انفسنا امام سلوك مركب يصعب علينا ارجاعه الى اصوله الاولى اي يصعب علينا معرفة المنعكسات الاولى المكونة له هل هي غذائية ام جنسية ام طاقة زائدة :

فما الذي يهدينا الى تحليل السلوك ؟...

انه بدون شك علم النفس المرضي فالسلوك الشاذ يضخم لنا المنعكسات التي كانت الدافع الأكبر لايجاده ويبرزها لنا ولكي ندرك ادراكا واضحا كيف نفحص السلوك ، ساعرض عليكم الآن حالة من حالات السلوك الشاذ هي حالة م.ع. وهو شخص يشعر بانحراف جنسي فهو لا يشعر بميل طبيعي نحو المراة بل يشعر بميول شاذة نحو الرجل وقد كافح الرجل هذا المرض خمس سنوات وذلك بتصوره نفسه في الوضع الطبيعي ولكن ذلك لم يصل به الى نتيجة تذكر وظل على حاله الاولى رغم شعوره بالاستعداد البيولوجي .

ومثل هذه الحالة تحتاج في تحليلها الى تتبع الصور والافكار عند الشخص، اي ان يذكر لنا ذكرياته عن الميل الجنسي .

وقد عرض لنا المريض بعض هذه الذكريات فذكر لنا انه يشعر بتهيج جنسي اذا شاهد او لامس سيقان اي رجل وقد تذكر هذا الشخص ان اباه كان يطلب منه تدليك ساقيه وكان المريض يشعر بلذة جنسية اثناء قيامه بهذا العمل . ثم تذكر ايضا ان والده واخته وهو كانوا يلعبون لعبة معينة وهي ان يضع الاب ساقيه على كرسي على هيئة قنطرة ثم يمرون جميعاً تحت ساقيه بشرط الا يلمسوهما وقد كان المريض يشعر بلذة عندما تلمس سيقان والده جسمه .

فحدث تجمع وارتباط بين الساقين واللعب واللذة الجنسية منذ عهد الطفولة ادى الى انحراف في الميل الجنسي لديه.

ثم مات الاب والمريض في سن المراهقة ــ في الثانية عشرة من عمره ــ فكان يلمس سيقان والده كي يرى ان كانت ساقيه باردة اي ميتة ام ساخنة تجري فيها الحياة

وهذا يدلنا على انه كان في الطفل ما يعرف بالبحث عن الاب .

وتتلخص هذه الحالة في ان اللعب وهو تصريف للطاقة قد ادى الى فكرة الاب ثم الساقين واللذة الجنسية .

وبما ان اباه من نفس جنسه فهو يميل الى نفس الجنس .

اي انه قد حدث تحول في الحساسية الجنسية فاتجهت الى الرجل بدلا من اتجاهها الى المرأة .

ولكي يعود الفعل الطبيعي الغريزي لا بد ان تكسر هذا الترابط الشاذ وذلك بشرح هذه الاشياء وربطها واعلانها . فلا بد اذن من تذكير المريض بالواقع .

نستنتج مما سبق ان الافعال عامة تتأثر بالعوامل الاجتماعية وهذا هو الفارق بين الانسان والحيوان اذ ان سلوك الاخير يتصل مباشرة بالميول .

القاهرة — ابو مدين الشافعي

ليالي فيينا

ذكرى تلك الليلة المائعة الرائعة من ليالي فيينا وعلى ضفاف دانوبها الازرق ربيع عام ١٩٤٩

فيينا
خيال رفيع تثنى
ولحن وديع تغنى
وماء وسحر وطيب
فيينا

*

على نغمة حلوة تفرح
تسربل بالحب قلباً معنى
ولكنها تجرح
نجوماً ، وتتركها تغرق
فاما سرى زورق
على موجة يسبح
اراق اليها الحياه
ومد اليها بناناً وظل شفاه
فشعت بلون خصيب خصيب
وفاءت الى افقها تمرح

*

فيينا
خيال حبيب يفيض رواء
يغازل مجداً بعيداً تناءى
ويسفح حلماً غريباً تراءى
على هفوة يهرق
سماء
وفي نغمة يورق
نداء
« وشوبير » غامت رؤاه
ومالت اغانيه رياً نديه
تمور سخيه
ظلالا شهيه
وحوراً وآلا وافقاً فسيحاً مداه
ودمعاً وآه

*

فيينا
نداء شرود
تعالى بغابتها الحالمة
فطابت عهود
وهلت وعود
وغامت اناشيدها الهائمه
وحامت اغاريدها الناعمه
وتغفو فيينا وتستغرق
بنوم قرير سعيد رغيد
ودانوبها الازرق
بالحان « يوهان » يسعى بخفه
فيسرع صفه
وتخضر صفة
وفي رعشة يسرق
من الجنح اجمل رفه
ليدعو الى الفالس عفواً عذارى
يتهن حيارى
يملن على فتية في دلال
ويرقصن في غنجة واختيال
ويمسحن بالعطر والشعر طيب الليالي
فقلب الحزين المعنى
تمنى
خلود فيينا

*

فيينا
خيال رفيع تثنى
ولحن وديع تغنى

موسكو بديع حقي

صديقي شيبوب : شاعر الفجر الاول

بقلم عمر عبدالرحمن الابوبي



ما قيمة الحياة في ما نستمتع به من طيباتها ونفائسها الظاهرة المشهودة، اذا اقفر قلب الانسان وعقله وروحه من ذخائر الحكمة والخواطر الرائعة والعواطف النبيلة والذكريات الجميلة التي لا تراها العين ولا تسمعها الاذن ولا تلمسها اليد ؟

بل ما قيمة الانسان نفسه في ما برز من صورته واشكاله وحديثه ازاء ما يتحلى به من مواهب واخلاق وعواطف ؟ وهل نحب شخصاً لغير ما لا نراه ولا نسمعه من خصائصه النفسية ؟ ان تقديرنا للحياة واستمتاعنا بها وما يكون لوجودنا فيها من شأن يرجع جميعه الى تلك القوى والمواهب الخفية التي تنطوي عليها. وتلك القوى والمواهب ما يزال التاريخ منذ اقدم عهوده يحدثنا انها تتخطى حدود الزمان والمكان ولا يستطيع ما يسمى بالموت الذي يسطو على الاجساد فيطحنها ويعيدها الى التراب سيرتها الاولى، ان يمسها بسوء او يمحو اثراً من آثارها.

وما دام وجود الانسان وحياته الحقيقية وقيمته الخالدة ترجع الى تلك الخصائص والصفات الروحية التي هي منشأ الروابط بين الانسان والانسان ومصدر الصلة بين الانسان والكون، فما بالنا نخشى الموت ونرهبه وننظر اليه كقوة قاسية عنيفة تنتزع منا من نحب وتفرق بين الوالد وولده والاخ واخيه الى غير لقاء ؟

لا يكفي ان ندرك تلك الحقائق – التي تكاد ان تكون من البديهيات – لنتمكن من الانتفاع بها في مكافحة فكرة الموت والفناء وما تثيره في النفس من حزن والتياع .

ولكننا نحتاج، لكي نعتنق تلك الحقائق ونؤمن بها كعقيدة، وبالتالي، نتخذها عدة كفاح لنا في الحياة كما نتخذ من فن السباحة ما يعصمنا من الغرق، الى صوفية نروض بها انفسنا على معرفة انفسنا وتحريرها مما يلتف حولها من اغلال واصفاد

ولست ادعي بلوغ تلك الدرجة من الصوفية، اذ احاول تقرير تلك الحقيقة ولكنني اذ اردد ما ذكرت بيني وبين نفسي، اشعر بحاجة ملحة الى الايمان بما رددت، وان عجزي عن اقامة الصلة بين نفسي وذلك الايمان، وعن الاقدام على مثل تلك الصوفية التي تساعدني على ان اظفر بما احتاج اليه، ذلك العجز الذي ما يزال يلازمني على الرغم مني ما كان الا ليزيدني شعوراً بالحاجة الى ذلك الايمان وتلك الصوفية، وما كان ليزيدني الا ايماناً بحقي من تلك الحاجة، وبان الانسانية و التي انا من افرادها، ستبلغ لا محالة، في سيرها المستمر تلك المرحلة التي تتغلب عندها على ذلك العجز وتظفر بذلك الايمان...

***

آخر عهدي بالمرحوم خليل شيبوب، منذ نيف وعشرين سنة، ومن نحو خمسة اسابيع ترامى الي نبأ وفاته فوجمت وعادت بي الذكرى الى ما وراء تلك الاعوام فاذا بالخليل ماثل مني كعهدي به حين كنت القاه في مكتبه ببناء البنك العقاري او في النادي السوري او على احد شواطىء رمل الاسكندرية .

ان نبأ وفاته، رغم ما اثاره في نفسي، بقوة العامل الوراثي الانساني، من اللوعة والاسى، لم يغير ذرة من اعتقادي بانه ما يزال حيث هو حياً يغدو ويروح ويستمتع بكل ما اوتيه من احساس وجوارح وبكل ما في قلبه ودمه من عواطف ونزعات وما في ذهنه من خيال وقوة تصور، يستمتع بالجمال في مختلف وجوهه وآياته : في الرياض وازاهيرها وفي السماء ونجومها، والفجر وتفتح النور فيه، وفي الغيد الحسان سارحات او سابحات او راقصات ..

اجل، ذلك هو اعتقادي الذي لم يستطع الموت ان يزعزعه في نفسي : ما يزال كعهدي به حيث افترقنا حياً يجري في سبل الحياة وتجري الحياة فيه تذيع به احدى رسالاتها النيرة ويبرر وجوده بقوة وعزم وارادة على مختلف مسارح الحياة وشتى

احوالها وتطوراتها في تلك المدينة التاريخية الخالدة التي ما ينبغي – في نظري انا على الاقل – ان يخلوَ بقاؤها وتماوج الحياة في شوارعها وضواحيها، من بقائه واصطراع الحياة فيه، كما لا ينبغي ان تمثل الذكرى تلك المدينة من دونه ...

***

عرفت خليل شيبوب لاول مرة، او على الاصح اتصلت به الاتصال الروحي الوجداني من وراء الابعاد، على صفحات مجلة العروس الدمشقية، التي انشأتها ماري عجمي فخر الاديبات السوريات. وكان ذلك على ما اذكر في صيف العام ١٩٢٢ هنالك قرأت له القصيدة الاولى التي مطلعها :

آليت انسى عذابي في قربك المستحب

ومنها :

قد كدت انفي تماما من خاطري ذكراك
– لكن علاماً – علاما – تثيرها عيناك

وتنتهي بهذا المقطع الشجي :

يا هند قلبي كنت اذوته ريح السموم
فاسقيه يحيا وانت حياته والنعيم

ظللت انشد تلك الابيات واتغنى بها وانا في السابعة عشرة من العمر، مع ما كنت اتغنى به من شعر الاخطل الصغير والملاط وجبران وابي ماضي ونسيب عريضه وفرحات والمرتين وموسيه – عاماً وبعض عام – واتخذ منها اجنحة تحمل ما كانت تخفق به جوانحي من العواطف المكبوحة والاحلام المتفتحة والرغبات المتململة.

وهبطت الاسكندرية، وكان لي ان التقي بالخليل وجهاً لوجه واصافحه يداً بيد وقلباً لقلب واجلس اليه الساعات الطوال تتجاذب اطراف احاديث شتى ما كانت لتخرج عن دائرة الادب والشعر ونفترق اياماً لنعود الى لقاء ارحب افقاً واعمق غوراً فتتقارب القلوب وتتآلف الارواح ويلتقي ما كنت انثر وضعاً او تعريباً، مع ما كان ينظم، على صفحات جريدة اسبوعية، ظلت عدة اعوام تتفرد بحمل رسالة الفكر والادب السوريين اللبنانيين، في مدينة الاسكندرية، حاضرة التجارة والصناعة – باب مصر الى العالم – على حد تعبير المرحومة مي وملتقى الكثير والكثير جداً من شتى جاليات الارض، وميدان الصراع البشري العنيف على الاصفر الرنان، حينذاك، فكانت تلك الجريدة وسط ذلك الميدان القاتم المزدحم بالمضاربات والمقامرات والمراقص والحانات وسباق الخيل ورمي الحمام، كانت اشبه بالجزيرة وسط الخضم او بالواحة في قلب الصحراء، فضلا عن ان صدورها كان بحق تجديداً لعهد اليازجي والشدياق والشميل والحداد، بعد فترة طويلة من الزمن ركد فيها سوق الادب واقفرت او كادت رياضه في مدينة الاسكندرية.

ويتلطف الخليل باهدائي ديوانه المسمى « بالفجر الاول » وهو عنوان يرمز عن بداية تفتح ما يطفح به صدر الشباب وينبض به قلبه وتجيش به نفسه من رغبات وآمال ونزعات وعواطف واحلام وما يلوح لعين الشباب الباطنية من مثل عليا وما يسترقه سمعه الداخلي من هواتف النجوى وهمسات الحب والجمال، وخرير تلك الينابيع البعيدة المحجوبة في صدر الحياة، تدعو الحياة الى ارتيادها من تلهب نفوسهم من ابنائها الشباب بذلك الظمأ الذي لا تطفئه مياه الارض، لتعجم اعوادهم وتسبر اغوارهم فتنتقي منهم الصفوة المختارة لتنزل عليهم آيات وحيها لتبرر وجودها وتسجل انتصارها وارتقاءها المستمر مع مجرى الزمن، في مختلف الاوضاع وشتى الصور والتعابير : قصيدة، او لحن او صورة او تمثال.

ولعل الشعر هو ابلغ ما تنتدب الحياة الصفوة من ابنائها ليعبروا به عنها ويذيعوا به اسرار حسنها ويكشفوا عن محجوب كنوزها وينابيعها.

ولم يكن مدلول ذلك العنوان، الفجر الاول، في نظري، اكثر من ظرف زمني، ما ان يلوح لعين المبكر في يقظته، حتى يطغي عليه نور الصباح الذي يغرق في فيض الضحى يعقبه وهج الظهيرة تنقلب الى اصيل يسلمه المساء الى الغسق فالظلام الدامس.

وكذلك لم يكن مدلول ذلك العنوان في ما يتصل بموضوع الديوان، سوى اعوام قليلة من حياة الانسان تحمل في تضاعيفها ما هيأته الحياة ضماناً للاقبال عليها والتهافت على صورها وبالتالي لتحقيق اغراضها وغاياتها البعيدة المدى، سرعان ما تمر لتحل الكهولة فالشيخوخة، فاذا كل ما حمله الشباب من ذخائر الحياة في الدم الفائر واللحم المكتنز والعظم الصليب وفي القلب المضطرم والنفس الطامحة، يهدأ بعد اضطراب ويخمد بعد شبوب ويتثاقل بعد خفة ونزق، ويلوذ بالراحة بعد ذلك العناء المتواصل واللغوب المتتابع، والاندفاع الحثيث لا يقر له قرار.

ولكن الاعوام تمر، ويتخطى الخليل عهد الشباب ويهم باجتياز الكهولة فما باله يأبى ان يودع الشباب وان يلقي عن كاهله اعباءه ؟

ما باله يأبى ان يريح قلبه من خفقات الشباب ؟ وما باله يأبى على عينيه ان تنظرا على غير ضوء « الفجر الاول » .

لقد ابى ان يفارق الحياة ، رحمه الله، قبل ان يعلن في آخر قصائده ما يدل اقوى الدلالة على ان الشباب لا يقتصر على عقد معين من عقود العمر ولا ينحصر في عهد من عهود الحياة دون عهد آخر : فقد يتقوس الظهر ويشتعل الرأس شيباً ويوهن العظم ، ويظل الانسان شاباً بعواطفه وآماله ومطامحه ورغائب نفسه، اذا اوتي الايمان الصادق بالحياة واهدافها البعيدة الشاملة.

لم يحل القانون ، وما تلقيه دراسته الطويلة المستبحرة ، من ضوء حاد عنيف على قضايا الانسانية المعقدة وروابطها المتشابكة، تشد العقل بوثاق من الحقوق والواجبات ويقيده بدستور مسلكي لا مندوحة له عن التزامه والنظر الى الحياة على ضوئه، ليكون المتفرد بالحكم دون العاطفة . اجل ، لم يحل القانون ، الذي روض الخليل نفسه على الغوص في اعماقه بعد ان بلغ اشده وتولى رئاسة قلم القضايا في البنك العقاري المصري ، اعواماً طويلة ، دون انطلاق عاطفة الشباب رغم وقار الكهولة، لتنشد نشيد المراكب الطالعة مع فجر جديد :

كم رحت املأ بالمفاتن ناظري من ناظريها
واهيم من شغفي بها واذوب من لهفي عليها
واظل مبهوتاً كأني قبل لم انظر اليها

تلك هي «معبودته» التي القى بآماله واحلامه وعمره في يديها
... الفجر اشرق في محياها وداور سالفيها

ذلك الفجر ما يزال يتجدد اشراقه في عين الخليل وقلبه ليرى على ضوئه البنفسجي الفتان ، في صفاء من الحياة ،لا يعتريه كدر ، وفي هدأة لا يشوبها صخب ولا عويل ،وجوها للجمال لا يمسها ذبول ولا يعتريها افول

فما اشبهه «بجوتيه» الالماني الذي كان يرى وهو على فراش الاحتضار ، وقد تخطى الثمانين من العمر وجه امرأة ظل يناجيه حتى اطبق الموت عينيه وشفتيه. اذن لم يكن « الفجر الاول » تسمية مرتجلة اختص بها ديوانه ، بل كان عنواناً لحياته من مطلعها الى مغربها ورمزاً عن شباب نفسه التي لم تشب بشيب الجسم

على ذلك البرعم النوراني المنبثق من غمرة الظلام المدبر : الفجر الاول ، ما برح شيبوب ينظر الى الحياة ، فيرى النور الوليد في كل ثغر وشفة وفي كل عين وجبين وكل زهرة في كل روض ، كما كان يحلو له ان يرى كل جمال على ضوء ذلك الفجر ولا غرو فذلك شأن عابدي الجمال الذي يؤلمهم منظر القبح في الحياة فيحرصون على الا تقع عيونهم على غير ما هو جميل فتان يفتح لعيونهم وقلوبهم وخيالهم ابواب سجن الواقع البغيض ، على آفاق فردوسية لا تحد فيتيح لهم ان يحققوا احلامهم ويشبعوا رغبات قلوبهم المتأججة ومطامح نفوسهم الوثابة الجامحة

وهل يتاح النظر الى جمال الحياة منزها عن قبحها مصفى من شوائبها واكدارها الا على ذلك الضوء الناشيء لا يستطع فيوضح ولا يتضاءل فيبهم . ؟

ذلك شأن الخليل وفئة غير قليلة من شعراء وادباء العرب والغرب نكتفي ان نذكر منهم شاعرنا سعيد عقل والكاتب الفرنسي الجامح الممتع بير لويس الذي اشار الى مذهبه ذاك في كثير من المواضع في مختلف قصصه ورواياته

على ان تلك المشاركة العامة في ذلك المذهب لم تحل دون امتياز الخليل بخصائص معينة تسكب على شعره الواناً والحاناً فخرية لا يجود بها مطلع كل فجر على كل عين ترى وكل قلب يخفق وكل نفس تشتهي وتتذوق

فخليل شيبوب يتفرد بنظرته الخاصة اللماحة التي تحسن ان تميط اللثام عن الحسن فتراه كيف يضرم افقه شفقاً ينعكس على الوجنتين وعن الزهر كيف يلامس الثغر ، والسحر كيف يموج الفينتين ، والليل كيف يسبل الشعر ويقوس الحاجبين ، والفجر ـ الفجر الاول ـ راووق الحسن ، كيف يشرق في المحيا ويداور السالفين ، تلك النظرة التي تغوص في اعماق العين فترى مجاهل لجة البحر ، وترى الجسد العزيز الشهي ـ لا لحماً ودماً ـ بل نوراً منتصباً في البردتين مترقرقاً من الفرع الى القدم

تلك النظرة الفنية التي تبدع في تصوير الجيد وتدوير المنكبين ... ويا ويح الخليل من تلك النظرة الثاقبة التي اباح لها ضوء الفجر الخالد الا تغادر من دقائق الحسن صغيرة ولا كبيرة الا ابرزتها فتنة للقلب تلهب ظمأه فلا يتمالك عن ان ينطلق بذلك اللحن اللاغب

كم رحت املأ بالمفاتن ناظري من ناظريها
واهيم من شغفي بها واذوب من لهفي عليها

لا اظن تلك النظرة استسلمت لانامل الموت تسبل الحجاب بينها وبين حسن الدنيا ، الا وقد اخذت على الموت عهداً ان يحملها الى حيث تستأنف اجتلاء الحسن في عالم كله حسن ،على ضوء فجر لا تزايله شمس تبهر ولا ظلام يضل ...

عمر عبد الرحمن الايوبي
بخعون ـ الضنية ـ لبنان

مقدمة ازهار الشر

لشارل بودلير



ان الرعونة والضلال والزلل والتقتير
كلها اشياء تملأ افكارنا وتشغل اجسامنا ،
ونحن الى هذا ـ نغذي تبكيت الضمير فينا ،
كما يغذي المتسولون الهوام التي تنهش ابدانهم !

***

اما جرائمنا فعنيدة لا تفتأ تمعن في التجسد
يقابلها ندم جبان لا يجسر على ردعها
وهذه رغائبنا الجامحة ندفع ثمنها غالياً وباريحية مثلى !
ثم نسلك بغبطة مسالك الشر الموحلة
وكل اعتقادنا اننا بعد هذا نستطيع ان نمحو لطخة العار
بدموع بخسة نسكبها في هيكل الندم ! ...

وعلى وسادة الشر يهدهد رئيس الابالسة الاكبر عقلنا المسحور !
وترى معدن "ارادتنا القوي" الصلب ..
ينصهر سريعاً ويذوب تحت مطرقة هذا الكيميائي القدير ...

***

اجل انه الشيطان .. ذلك الذي يمسك بازمتنا
فنجد في الاشياء البشعة الباعثة على القرف جاذبية واغراء !..
وكل يوم ننحدر ـ خلال الدياجير العفنة ـ نحو الجحيم
بخطى متتابعة دون خوف ولا وجل ..

***

في عقولنا يتدافع حشد هائل من الابالسة والشياطين !!
وكله نهم وشراهة كمليون حشرة طفيلية !!!
وعندما نتنفس ، ينهمر الموت من رئتينا :
نهراً خفياً مسحوراً يجرجر اذيال شكايات صماء !!!...

***

واذا كانت الفضائح والسموم وطعنات الخناجر والحرائق
لم توش ـ بعد ـ بتهاويلها الساخرة
الملاءة الخشنة المتهرئة لمصيرنا المؤسف
فذلك لان ارواحنا ـ مع الاسف ـ ليست جسورة جبارة كما يجب

***

وبين بنات آوى والفهود والكلاب !؟
نجد القرود ايضاً الى جانب العقارب والنسور والافاعي !؟
والغيلان والسعالى ؟! كلها ترسل عواء مزعجا
وتزمجر وتصفر وتفح ، وتزحف وتحتشد في ادغال رذائلنا البشعة

***

وهناك في صميم هذه الرذائل ما هو اشد بشاعة وبخاسة وشراسة
بالرغم من انه لا يرسل نأمة ولا صراخاً
فهو يتعمد ان يجعل من هذه الارض الخصبة صعيداً جرزاً وركاماً باليا
وبتثاؤب واحد ، مريع ، منه يبتلع الكون بما فيه :
انه تلك العين المثقلة بالبكاء الارعن
انه ذلك الحالم دوماً بالمشانق يتمناها وهو يدخن نارجيلته !؟
انه ذياك الغول المخيف الخطير :
انه الضجر ... انه السأم القاتل !!!
وانت تعرفه جيداً ايها القارىء الخبيث !
انت يا صنوي ... بل يا ... اخي !...

باريس — خليل شرف الدين

مقدمة لدراسة الشخصية

بقلم ابراهيم العريض



٣ - العقد النفسية

ولقد جرنا الكلام عن قابلية النفس للانفعال بهذه الاحاسيس - الى ذكر العقد النفسية . فما هي هذه العقد النفسية وكيف تنشأ ؟ يرى بعضهم ان تعليلها - لو امعنا النظر في شؤون الحياة - غاية في البساطة . وكذلك شأن كل حقيقة لو امكن للانسان ان يهتدي الى الباب المؤدي اليها. انها غاية في البساطة. وان كان مفعولها - في الوجود المستقل لكل فرد - معقداً للغاية. اذ هي تقضي في حياة الفرد على كل اتزان. واظنك تود ان تعرف ما يقوله هؤلاء، فاليك البيان

اذا امسكنا برأس الخيط وجدنا انه :

● يقترن الخوف ... بالنفور فينشأ عن ذلك - على تطاول المدى - الشعور بالنقص . وبالغضب ، فينشأ الشعور بالنقمة . وبالغيرة، فينشأ الشعور بالنفاق. وبالكبرياء، فينشأ الشعور بالعظمة

وترى كيف ان جميع هذه العقد تخرج بصاحبها عن الفطرة. لتقف احياناً به على شفا جرف من الجنون

● ويقترن النفور بالغضب ، فينشأ عن ذلك الشعور بالطغيان. وبالغيرة، فينشأ الشعور بالحقد. وبالكبرياء، فينشأ الشعور بالتقزز

وترى كيف انها جميعا تجعل من صاحبها عدو المجتمع الاول فلا يستريح الا باذاه .

● ويقترن الغضب ... بالغيرة ، فينشأ عن ذلك الشعور بالبغض . وبالكبرياء ، فينشأ عن ذلك الشعور بالاحتقار

وترى كيف انها يجعلان من صاحبها سيء العشرة ، يغص به الاهل والاصحاب

● وتقترن الغيرة ... بالكبرياء ، فينشأ عن ذلك - على تطاول المدى - الشعور بالسخرية

وترى كيف ان صاحبها لا يفتأ ينتقص النفوس ليواري النقص في نفسه . فلا يعيش الا عالة على سواه . هذا كله من الناحية السلبية . وانما عقدة الخوف - كما ترى - هي اشدها تعقيداً . وان كانت جميعها تؤدي الى الانقباض .

***

واما من الناحية الايجابية . وهي الناحية التي تخلق الانسجام في النفس فهم يقررون انه : يقترن الاطمئنان ... بالعطف فيسفر عن الاقتران على - تطاول المدى - الشعور بالعزة . وبالرضى فيسفر عنه الشعور بالمرح . وبالشفقة ، فيسفر عنه الشعور بالاخلاص . وبالتواضع ، فيسفر عنه الشعور بالسماح

وترى كيف انها جميعاً تجعل من صاحبها « انساناً » اوتي الحكمة في تصرفاته .

● ويقترن العطف ... بالرضى ، فيسفر عن الاقتران الشعور بالانطلاق . وبالشفقة ، فيسفر عنه الشعور بالرحمة . وبالتواضع، فيسفر عنه الشعور بالبشاشة

وترى كيف انها جميعاً تجعل من صاحبها رجل المجتمع الاول يسعى دائماً لرفع مستواه .

● ويقترن الرضى ... بالشفقة ، فيسفر عن الاقتران الشعور بالمودة . وبالتواضع ، فيسفر عنه الشعور بالرعاية .

وترى كيف انهما يجعلان من صاحبهما ريحانة المجالس.

● وتقترن الشفقة ... بالتواضع ، فيسفر عن الاقتران - على تطاول المدى - الشعور بالايثار .

ولا يخفى ما يكون لصاحبها من يد بيضاء في اسعاد النفوس

وقد تجوزنا معهم في اعتبار هذه الاحوال عقداً ، وان لم تكن هي كذلك ، لانها تشبه الاولى كل الشبه في كيفية المنشأ . وان اختلفت عنها كل الاختلاف في صورة المآل . والذي يلاحظ هنا ان الاحوال الناشئة عن الاطمئنان هي امثل الحالات انسجاماً . وان كانت كلها باعثة على الانبساط .

والمهم في مثل هذا البحث هو ان نجد الشواهد من شعرائنا على مفعول هذه العقد النفسية ، سواء اكانت بالسلب او الايجاب . فلعلنا لا نشط عن الموضوع اذا اوردنا لك هنا طرفاً منها . ولا يستبعد احد عن نفسه التعرض لها . فان الحد الفاصل بين الاستقامة والشذوذ دقيق لا يكاد يحس به . وكذلك ـ فيما يقررون ـ بين العقل والجنون . وهل كانت العبقرية الا نوعاً من الشذوذ . فهذا الخالدي ينشد :

وهي التي قالت لجارة بيتها قولا .. دموعي كن رد جوابه
« ما كان ينفعه لدي شبابه فعلام يتعب نفسه بخضابه ! »

فماذا يدل عليه قوله غير الشعور بالنقص ، الذي ينشأ دائماً من اقتران الخوف ـ في النفس ـ بنفورها . فيكون التعبير عنه عند اهله ـ اكثر ما يكون ـ بتذراف الدموع ، يلتمسون له كل سبب معقول وغير معقول . وهذا دعبل الخزاعي يجابه المأمون ـ وهو من تعلم ـ بقوله :

اني مـن القوم الذي سيوفهم قتلت اخـاك .. وشرفتك بمقعد
شادوا بذكرك بعد طول خموله واستنقذوك من الحضيض الاوهد

فيروعك هذا الشعور بالنقمة الذي تنضح عنه الابيات . ولقد بلغت المأمون فما زاد على ان قال :

« ما اقل حياء دعبل . متى كنت خاملا ؟ وقد نشأت في حجر الخلفاء » . وما تعليلها الا اقتران الخوف بالغضب في نفسه ، على المجتمع الذي عاش هو احد صعاليكه ساخطاً متبرماً . وهذا ابو نواس ينشد :

انت امرؤ جللتني نعماً اوهت قوى شكري فقد ضعفا
لا تسدين الي عارفة حتى اقوم بشكر ما سلفا

فهل ادل من هذين البيتين على الشعور الكامن بالنفاق في جميع النفوس . ومتى كان ابو النواس ـ او غيره ـ يتردد في قبول عارفة حتى يقوم بشكر سالفها ، او يرفضها حتى يؤدي شكرها الكامل ؟ ولكنه اقتران الخوف في نفسه بالغيرة هو الذي اجرى هذا القول على لسانه . مثله قول الاعرابي في عبد الملك :

ولقد ضربنا في البلاد فلم نجد احداً سواك الى المكارم ينسب
فاصبر لعادتنا التي عودتنا اولا ... فارشدنا الى من نذهب

فانه لينافق في القول لنفس الاسباب . وهذا شاعر ينشد :

أتيـه على انس البلاد وجنها ولو لم اجـد خلقـا لتهت على نفسي
أتيه ، فلا ادري من التيه من انا سوى ما يقول الناس في وفي جنسي
فان صدقوا أني من الأنس مثلهم فما في عيب غير اني من الأنس

فتدرك حالا ان الحافز له على هذه الحماقة هو شعوره بالعظمة ليس غير . وقد بينا كيف تنشأ هذه العقدة اذا اقترن الخوف في النفس بكبريائها. وقد مرت بنا عقدة الشعور بالنقص في صدر الشواهد. فالخوف ـ كما ترى ـ هو العامل المشترك بين العقدتين. وهذا قيس بن رفاعة يدمدم :

انا النذير لكم مني مجاهرة كي لا ألام على نهي وانذار
فان عصيتم مقالي اليوم فاعترفوا ان سوف تلقون خزيا ظاهر العار
لترجعن احاديثا ملعنة لهو المقيم ولهو المدلج الساري
من كان في نفسه حوجاء يطلبها عندي فاني له رهن باصحار
اقيم عوجته ان كان ذا عوج كما يقوم قدح النبعة الباري
وصاحب الوتر ليس الدهر مدركه عندي، واني لدراك بأوتار

فماذا ترى هنا غير الشعور بالطغيان . أفلا تذكرك كلماته بخطبة زياد البتراء ؟ فالحوافز لدى الاثنين تكاد تكون واحدة.

وهل الشعور بالطغيان الا نتيجة طبعية لاقتران النفور بالغضب، في صغار النفوس .

وهذا ابن الرومي يقول، معرضاً بضربة كانت في وجه ابن المدبر :

بوجه « ابي اسحق » صدع لعرضة له قصة غير الذي هو يظهر
يخبر فيه انه اثر ضربة بيعض سيوف الزنج حين يخبر
وما ضربته الزنج في الوجه، بل رأى [...]، فانشق في وجهه حر

فلا تكاد تتم تلاوة الابيات حتى تتألم لنزول ابن الرومي الى هذا الدرك، استجابة لشعوره بالحقد . وانما منشؤه في امثاله اقتران النفور في النفس بغيرتها . وينشد جحظة في أبخر:

تنفس في وجهي فكدت أموت وأعرض عني جانبا فحييت
ونتنني حتى حسبت بأنني وربكما - يا صاحبي - [...]!

فهذا شاعر يضيق بمحدثه انفاساً . فهل ترى تعبيراً اشد منه عن الشعور بالتقزز . ولا تحسبنه يبالغ فان في الحياة اناساً ينتن بهم البخر الى هذا الحد وعلمهم عند اطباء الاسنان . ومنشأ هذه العقدة - في مجال الحياة الاوسع - هو اقتران النفور - في النفس - بكبريائها . وهذا الحطيئة يقول لامه :

تنحي فاقعدي مني بعيدا أراح الله منك العالمينا
ألم اوضح لك البغضاء مني ولكن لا اخالك تعلمينا
أغربالا اذا استودعت سراً وكانونا على المتحدثينا
جزاك الله شرا من عجوز ولقاك العقوق من البنينا

فلا يكفي ان تقول انه كان هجاء خبيث اللسان . فان شعور الحطيئة هنا بالبغض نحو امه بالغ حده . وينشأ هذا الشعور لاقتران الغضب في النفس بغيرتها . جاء في الاغاني ان «... نسبه متدافع بين قبائل العرب . وكان ينتمي الى كل واحدة منها اذا غضب على الآخرين...» فلعل هذا يعلل ذاك . وهذا آخر يقول:

فلو اني بليت بهاشمي خؤولته بنو عبد المدان
لهان علي ما القى ولكن تعالوا فانظروا بمن ابتلاني

فيكاد يعديك بشعوره بالاحتقار . هذا الشعور الذي منشؤه - كما قدمنا - اقتران الغضب في النفس بكبريائها . واخيراً هذا جرير ينشد

زعم الفرزدق ان سيقتل مربعا أبشر بطول سلامة، يا مربع !

فتعجب من هذا التوفيق الذي أيد الشاعر في تمثيل شعوره نحو غريمه . والسخرية دائماً تنشأ من اقتران الغيرة في الانفس بكبريائها، كما عللنا ذلك قبلا .

فكل هذه الشواهد ان صورت شيئاً فهي تصور الشاعر وقد انفعل امام الحياة بشعور سلبي ما زاده المجتمع - الذي يتقلب هو بين افراده غير منسجم - الا تعقيدا . وهي كلها على تطاول المدى من عوامل التشاؤم والانقباض . واذا كان في بعض اياتها ما ينبو عنه السمع . فعذرنا في الاستشهاد بها انها بصورتها تلك تمثل الغلظة والجفاف في الشعور الذي نحن بصدد تحليله خير تحليل، والحق لا يعرف الحياء .

***

فاذا تحول ما يشبه هذا التعقيد - وليس به - الى الناحية الايجابية نشأ عنه للشاعر موقف آخر لا يمت الى الانقباض بسبب... وانما يسلمه - وقد اطمأن - الى الانبساط. فهذا الشريف الرضي ينشد بين يدي المقتدر :

عطفا امير المؤمنين ! فاننا في دوحة العلياء لا نتفرق
ما بيننا يوم الفخار تفاوت أبدا كلانا في المعالي معرق
الا الخلافة ميزتك، فانني انا عاطل منها، وانت مطوق

فلا يمثل بذلك الا شعوره هو بالعزة، وهو اهل لها . وقد قلنا ان هذا الشعور ينشأ عن اقتران الاطمئنان في النفس بالعطف . وان لقوله عطفاً... في مستهل هذه الابيات بدل مهلا... او رفقاً... او ما اليهما لدلالة لا تخفى على اللبيب . وهذه ولادة بنت المستكفي تقول :

انا والله اصلح للمعالي وامشي مشيتي وأتيه تيها
امكن عاشقي من لثم ثغري واعطي قبلتي من يشتهيها

فلا تظننها متخلعة... فهي ابعد ما تكون عن ذلك . وانما هي تعبر - هكذا - عن شعورها بالمرح . والواقع ان المرء - او المرأة - لينَدفع للانطلاق من كل قيد جراء هذا الشعور. الذي قلنا عنه انه ينشأ من اقتران اطمئنان النفس برضاها . بيد ان هذا الاقتران لا يتم الا في ذات يكون شعورها ذكريا، ولو كانت من الاناث . وستجد تعليلا لذلك في موضعه من هذه الدراسة في فصل تال . وهذا صديق يقول في صدر الاسلام :

وذي ود املت اليه نصحا وكان لما اشير به سميما
اطاف بغيه فنهيت عنها وقلت له : ارى امراً فظيما
اردت رشاده جهدي فلما ابى وعصى .. ركبناها جميما

فاي صداقة اخلص من هذه . وان الشعور بمثل هذا الاخلاص لناشيء - فيه وفي غيره، على اختلاف الطبقات - عن اقتران اطمئنان النفس بشفقتها . وهذا عبد العزيز بن زرارة يقول

والا اكن ممن علمت .. فانني الى نسب - ممن جهلت - كريم
والا اكن كل الجواد .. فانني على الزاد - في الظلماء - غير شتيم
والا اكن كل الشجاع .. فانني بضرب الطلا والهام حق عليم

فتكاد تلمس روحه السمحة التي دفعته لهذا القول . وسترى على ذلك شاهداً اقوى، عن قريب . وان الشعور بالسماح لينشأ

ـ كما قدمنا ـ من اقتران اطمئنان النفس بتواضعها . وهذا ابو عروة يقول

اني وان كان ابن عمي واغراً لمزاحم من خلفه وورائه
ومعده نصري وان كان امرءاً متزحزحا في ارضه وسمائه
واكون والي سره، فاصونه حتى يحين علي وقت ادائه
واذا الحوادث اجحفت بسوامه قرنت صحيحتنا الى جربائه
واذا دعا باسمي لنركب مركبا صعبا، قعدت له على سيسائه
واذا رأيت له رداء ناضراً لم يلفني متمنيا لردائه

الا تشعر امام هذه الابيات ـ كما شعر صاحبها ـ بروح الانصاف . ولقد انشدها النضر بن شميل للمأمون كشاهد على انصف بيت قالته العرب . وانما قائلها هو الذي كان يحتمل النصف من نفسه راضيا. فالشعور بالانصاف لا يتأتى عن عطف النفس برضاها . وهذا امية بن ابي الصلت يقول لولده العاق

غذوتك مولوداً، وعلتك يافعا تعل ـ بما ادني اليك ـ وتنهل
اذا ليلة نابتك بالشكو، لم ابت لشكواك الا ساهرا، اتململ
كاني انا المطروق دونك، بالذي طرقت به دوني، وعيني تهمل
تخاف الردى نفسي عليك وانها لتعلم ان الموت حتم مؤجل
فلما بلغت السن والغاية.. التي اليها مدى ما كنت فيك اؤمل
جعلت جزائي منك جبها وغلظة كانك انت المنعم المتفضل

فتأمل هذا الشعور بالرحمة الذي تقطر به كل كلمه له ، وان جاءت مناشدة وعتاباً . وحقاً قيل :

اذا ذهب العتاب ، فليس ود ويبقى الود ما بقي العتاب

فهذا هو ما تفصح عنه الابيات. ولا غرو فالرحمة شعور منشؤه اقتران عطف النفس بشفقتها . وهذا النصر بن تولب يقول :

وفتية كالسيوف اوجههم ... لا حصر فيهم ولا بخل
بيض مساميح في الشتاء وان اخلف نجم عن وبله، وبلوا
لا يتأوون في المضيف وان نادى مناد ان انزلوا، نزلوا
لا يعتري شربنا اللحاء وقد توهب فينا القيان والحلل

فهذا شاعر جواد، من شعراء الجاهلية ادرك الاسلام كبيراً، ولكنه ذو بشاشة. وحسبك روحها التي تفيض بها اياته هذه فقل ان تجد نظيراً لها لدى اهل عصره . فان البشاشة لا تتأتى الا من اقتران عطف النفس بتواضعها. وعز ذلك في عصر كان طابع اهله الغلظة والجفاء ، الا فيما ندر من احوال. وهذه امرأة شريفة تقول لزوجها :

قصاراك مني النصح ما دمت حية وود كماء المزن غير مشوب
وآخر شيء انت لي عند مرقدي واول شيء انت عند هبوبي

فهل ترى ما في هذين البيتين من شعور بالمودة ، وان شئت فقل ـ بلغة عصرنا ـ الحب الذي لا تمازجه الاثرة . انه ناشيء عن اقتران رضى النفس بشفقتها . ولا تجده على هذه الصفة ـ في الاغلب ـ الا عند النساء . وهذا معن بن اوس يخاطب اخا زوجته التي طلقها ، وكان له صديقاً :

لعمرك ما ادري ـ واني لأوجل ـ على أينا تغدو المنية أول
واني اخوك الدائم العهد، لم اخن ان ابزاك خصم، او نبا بك منزل
احارب من حاربت من ذي عداوة واحبس مالي ـ ان غرمت ـ فأعقل
وان سؤتني يوما ، صفحت الى غد ليعقب يوما منك آخر مقبل
كأنك .. تشفي منك داء، مساءتي وسخطي، وما في ريبتي ما تعجل
ستقطع في الدنيا ـ اذا ما قطعتني ـ يمينك، فانظر اي كف تبدل

واين تجد مثل هذه الرعاية لشعور الغير الا عند معن ـ وامثال معن ـ الذين يقترن عندهم دائماً تواضع النفس برضاها. ولعلك لاحظت ان معناً يشارك في قطعته هذه امية في قطعته تلك في بعض الاحاسيس ، بله اشتراكهما في الوزن والروي. وفي مقدمة هذه الاحاسيس الخوف على صاحبه من ريب المنون. ولكنه لا يوجس مثله خيفة على نفسه مصدرها الشفقة عند ذاك . وانما يتطلع الى عاقبة عتابه مطمئن البال . ولذلك فهو يختم هذه الابيات بقوله :

اذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تكد اليه بوجه ـ آخر الدهر ـ تقبل

وفيه ما فيه من جمرة التهديد . وهذا ـ أخيراً ـ جميل بن معمر يقول :

واني لارضى من « بثينة » بالذي لو ابصره الواشي لقرت بلا بله
بـ « لا » وبـ « الا استطيع » وبالمنى وبالامل المرجو قد خاب آمله
وبالنظرة العجلى ، وبالحول تنقضي اواخره ـ لا نلتقي ـ واوائله

فهل تلمس في اياته حرارة الايثار ؟ ولا غرابة فالشعور به ناشيء ـ كما توضح لك ـ عن اقتران الشفقة في النفس بتواضعها . ولا يتم هذا الاقتران الا في ذات انثوية الشعور ، وان لم تكن انثى بالذات . وسنلم بشرح ذلك قريباً .

فهذه الشواهد ـ بخلاف تلك ـ قد تصور الشاعر وقد انفعل امام الحياة بشعور ايجابي يخلق في نفسه الانسجام ... رغم هذا التعقد الذي يفرضه المجتمع في مشاعر افراده فرضاً . وهي هنا ـ بعكس الاولى ـ عاملة مع تطاول المدى على التفاؤل والانبساط .

ولقد حرصنا في كل هذه القطع على ان نضع يدك ـ ايها القارىء الكريم ـ على الدوافع الخفية التي كانت تعمل عملها ـ من وراء الستار ـ فانطقت هؤلاء ، واولئك ، باقوالهم . بالصورة التي ترى تبعاً لنظرتهم الى الحياة. وان منها لما تستبشعه النفس المرهفة لولا انها من واقعيات الحياة .

البحرين ابراهيم العريض

الفارس المجلي

زعموا انه كان في جزيرة فرموزا مبشر بوذي صالح كرس جهده لارشاد الاهلين الى الفضائل الانسانية العليا ، مناهضا عادة حصد الرؤوس التي كانت متفشية في الجزيرة وقتئذ ، ولكنه لم يوفق الى القضاء على تلك العادة الاجرامية حتى كاد ييأس نهائيا من صلاحهم . ولكن الامل عاوده فبذل مجهودا جديدا لاقناعهم بشر ما يصنعون . واخيرا بعد لأي وعدوه بتلبية دعوته وبالاقبال على هدايته ، بشرط ان يسمح لهم بصيد واحد للمرة الاخيرة قبل ان يتركوا هذه الحرب التقليدية والمباهاة بحصد الرؤوس وجمعها .

فقال المبشر : هل تقسمون ان ذلك عهدكم ؟ فاقسموا .... وحينئذ ابلغهم ان شخصا غريبا سيفد اليهم في الغد ، وانه يبيح لهم ان يقتلوه نحراً وصلبا حتى يقلعوا بعد ذلك عن حصد الرؤوس !

وفي اليوم التالي حدث ما انبأهم به ... وجاء الغريب متهللا آمنا ، وقد اكتست الطبيعة بابهى حللها . فلم يمهلوه لحظة ، وتهاووا عليه ضربا ونحرا ، هزجين باناشيد الفخار ! ثم ثابوا الى رشدهم وتاملوا الرأس المقطوع ، فاذا به رأس صديقهم المبشر الذي تنكر سرا كيما يفدي بنفسه الابرياء وينقذهم من الاشرار !

وقد اهدى الشاعر هذه القصيدة التي جمعت بين القصة والموعظة والوطنية الى صديقه العظيم النفس وفارس العروبة المجلى دولة فارس الخوري بك عند حضوره الى نيويورك في خريف سنة ١٩٥٠ رائسا الوفد السوري الى هيئة الامم المتحدة

***

سيدي الفارس المجلي ! اتأذن بعد ترحيب شاعر لا يماري
بحديث او قصة لم تلقن دون نبل الحياة للادهار
لم تؤلف احداثها او تدون في القراطيس او على الاحجار
او حكاها محدث يتفنن بل حكاها دم ودمع جاري ؟
منك الهامها ومني نشيد في ثناياه منتهى اكباري
وسعيد من يصطفيك سعيد كاغتباط الاعشاب بالازهار
واهتزاز الجديب ـ وهو شهيد ـ لوفود الحياة في الامطار
وازدهاء الخيال ـ وهو شريد ـ باقتران اللحون والاشعار
زعموا ان مرسلا بين قوم يحصدون الرؤوس للناس عجبا
لم يبالوا ربا ، ولم يعرفوا يوماً تجاه الانام حبا وقربى
كم رؤوس كريمة طوحوها ثم صارت لهم مناحف تربى (١)
فدعاهم الى الهداية ، لكن صدفوا عنه كلما ازداد قربا
واخيراً من بعد لأي مديد وعدوه بانه سيلبى
سائلين السماح منه بصيد واحد قبل ان يعافوا الحربا
قال: «هل تقسمون ذلك عهد ؟» فاجابوا: «اجل لسانا وقلبا»
قال: «سمعاً اذن ! سيأتي غريب في غد فاقتلوه نحراً وصلبا»

ثم جاء الغد المؤمل سحراً مفصحاً عن عجائب الاسرار
وتجلت فيه «الطبيعة» نوراً كعروس تختال بين الدراري
كل شيء يوحي حبوراً وشعراً للهداة الثقات والكفار
واذا بالغريب يطفح بشراً قادماً دون خشية او عثار
فتهاووا عليه ضرباً ونحراً وتغنوا غناء اهل الفخار
ثم ثابوا فادركوا بعد نكراً لا يجارى ولم تبحه الضواري
اي اثم يهز فكراً وصخراً مثل قتل الصديق ثم افتخاري ؟!
قتلوه وقد تنكر سراً ليفدي الورى من الاشرار !

***

يا صديقي ! هذي حكاية دنيا شقيت بالطغاة والفجار
هي دنيا لاهلنا لوثوها باقتناص الرؤوس دون اعتذار
يقتلون النوابع الصفو قتلا ويبارون في اذى الاحرار
كم رؤوس عزيزة دوخوها ثم احيوا الفوضى بعار وعار
ورأيناك من يكافح دهراً ككفاح المبشر المغوار
صائحا ، نادباً ، تقرع حينا وتربي بعقلك الجبار
ويظل الاشرار في الاثم غادين ، مضحين صفوة الاخيار
أي صديقي ! كفاك وعظاً ووعظا وحذار الفداء يوما حذار

***

إنما الناس بالشعور الابي وبروح الاخاء فرداً وشعبا
ما عرفنا التاريخ في وصف حي مجد العابثين قتلا ونهبا
او شهدنا الاعجاز وافى نبي بين قوم آذوه ركلا وضربا
او رأينا التحرر الذهبي لعبيد يأبون للفكر ربا
او سمعنا عن ضيعة العبقري في بلاد ترى الجهالة ذنبا
او ذكرنا تفوقاً لدعي في شعوب علت جواء وسحبا
او عرفنا حقاً طواه الرقي او دعاوى تصون زوراً وسلبا
ذاك تعليمك الشريف الزكي ليس ينساه اي حر تأبى (٢)

***

مرحباً بالكمي عاد الينا نحن اولى بذهنه البتار
مرحباً بالوقار فكراً وعينا تتملاه باسما كالنهار
مرحباً بالشموخ لا يتدنى مرحباً بالملاذ في الاعصار
مرحباً بالجلال لا يتسنى ـ مذ تمنى ـ لحاكم جبار
مرحباً بالاديب ينصر حقا ملء آيات حكمة واقتدار
مرحباً بالخطيب يرقى ويرقى بفنون للسمع والابصار
مرحباً بالابي يرفض رقاً حين رسف العناة بالاوغار
مرحباً بالامام غرباً وشرقاً يا فؤادي ومرحباً يا شعاري!

نيويورك — احمد زكي ابو شادي

(١) تربى : تزاد (٢) تأبى : اتخذه ابا

ساعة الملازم

بقلم الدكتور عبد السلام العجيلي



الملازم ممدوح*، ضابط العشائر، صديقي ولكن الطريق اليه كانت طويلة . فان مقره في الثكنة كان يبعد عن البلدة مسافة ليست هينة من الارض المفروشة حصى في ذلك النهار القائظ . ومع ذلك فان البدوي الذي صودرت جماله وجاء يرجوني المعونة لم يعذرني فلم اجد بداً من ان اقصد صديقي الملازم في حر الظهيرة، فقصدته ووجدته في الثكنة اكثر ضيقاً بالحر الخانق مني به في البلدة، فان ظلال البلدة على قلتها كانت ثخينة باردة اما في هذه الثكنة التي جدرانها من الوحل الرقيق واسقفها من صفائح التوتياء فان الحر كان يتسرب منها الى الاجساد كتسرب الماء من غربال . والقيت بجسمي على مقعد في مكتب الملازم ممدوح الى جانبه راح هو يستمهلني الى ان يفرغ من كتابة حاشية له على عريضة ممزقة. ولم البث ان قمت من مكاني ودلفت الى الجناح الذي كان يسكنه صديقي الملازم. وكانت له غرفة في ذلك الجناح فيها من الفوضى ما في غرفة كل عزب متبرم بسكنه. واذ احس بي في غرفته صاح:

ــ تسل بما بين يديك من كتب ريثما افرغ من هذه الاوراق.

وكان على المنضدة خليط من الكتب والمجلات. ورأيت فوق احدى المجلات المصورة ساعة جيب ذهبية معلقة بها سلسلة ، مددت اليها يدي لاتناول المجلة من تحتها فاحسست ان لها ثقلا غير عادي. ولفت انتباهي ان حجمها كان يفوق الحجم المألوف لساعات الجيب فصحت بالملازم من مكاني :

ــ اي ساعة هذه التي تملكها يا صاحبي انها تحتاج لحامل خاص.

* من المجموعة القصصية «ساعة الملازم» التي ستصدر قريبا في منشورات « دار العلم للملايين »

حامل ساعة الملازم مثل حامل اختام الملك ! ٠

فأجابني من مقره : هذه ملكة الساعات في ايامها . دعها وابحث لك عن كتاب يعجبك .

فلم اتركها بل اخذت اقلبها بين يدي . وفتحت غطاء وجهها فلاحت لي ميناؤها وقد رسمت ارقام الساعات عليها بالارقام الهندية وناب حرفان افرنجيان متقاطعان مرسومان عليها عن اسم المصنع. ثم فتحت غطاءها الخلفي فرأيت على بطانة الغطاء الذهبي بالانكليزية هذه الكلمات :

اوسكار بيرى من ماجي ١٩٠٣

فخيل الي وانا اقرأ هذه الكلمات اني فتحت نافذة من الزمن الغابر حين فتحت هذا الغطاء الذهبي . ولم اتناول كتاباً او مجلة بل ظللت اتطلع في هذه الاحرف المنقوشة على الغطاء كأنما كان في كل حرف منها كتاب مفصل .

اوسكار بيرى ... ماجي ... وساعة ذهبية هائلة شريت منذ خمسين عاما ... منذ خمسين عاماً كانت هذه الساعة الضخمة حلية الشباب الانيق ، فمن يكون اوسكار بيرى الذي حمل هذه الساعة من عام ١٩٠٣.. اني اكاد استقرىء سماته من اسمه. ان له القامة الفرعاء والبنيان الوثيق والعين الزرقاء الصافية التي يوحيها اسمه السكندنافي: اوسكار. وله الخلق الدمث والنفس المرحة والروح المتعطشة الى اللهو والحب التي ينطق بها لقبه الفرنسي : بيرى . ان فتى له روعة شباب اوسكار بيرى جدير بان تشغف به الغانيات حباً وان يدسن له كبرياءهن وبدلا من ان يتقبلن منه التقدمات ان يقدمن له هداياهن كما فعلت هذه الحسناء اللعوب التي نقشت على الغطاء الذهبي اسمها الحلو كجسمها : ماجي ...



تدليلا من مرغريت ..

وكان حر الظهيرة في غرفة الملازم ممدوح يخترق جدرانها وسقفها التوتياء، فيعقد حول كل ما فيها ، وانا بين من فيها ، ابخرة ودخاناً . وكانت اشعة الشمس المحرقة المتسربة خطوطاً من شقوق الباب وفرج النوافذ ترتسم في ومضات على غطاء الساعة الذهبي المنقوش فيبدو لي كانه افق بعيد تتلاعب فوقه في الظهيرة امواج السراب . وكان رأسي من الحر في دوران وعيني من الوميض في بهرة فخيل الي في السكون المطبق والحر المخدر ان ما تخيلته من معان للاسمين المنقوشين على الغطاء الذهبي قد تجسمت واني اري في سراب الوميض الذي يبدو لعيني ، بين اجفاني المنطبقة نصف انطباق، اوسكار بيري وماجي يروحان ويجيئان ويتبادلان الحديث ويرويان قصتهما بل يعيشان في بيئة كأنها بيئة الاحلام ، وانا في مجلسي كحالم به اثارة من وعي يدرك ان ما يراه حلم في منام ولكنه لا يستطيع ايقاف مجراه ولا الحيلولة بين نفسه وبين الايمان بما يراه ...

***

اوسكار بيري فتى اشقر مديد القامة يرى كل الناس في عينيه الصافيتين صفاء خلقه ورفاهية نفسه التي نمت في حياة طبقته الموسرة في المجتمع اللندني . ولكن مرغريت وحدها كانت ترى في عينيه اعماقاً غير التي تتبدى لعيون الرائين من اصدقائه ومعارفه. كانت مرغريت ممثلة مبتدئة في مسرح البلاديوم التقت باوسكار في ساعة باسمة من احدى ليالي لندن العابسة فاصبحت صديقته ، وجمعت بينهما عاطفة رقيقة كروحها عميقة كاغوار نفسه. وكانت كل الحجب تنسدل التي على مشاعر اوسكار بيري ترتفع اذا التقى بمرغريت او ماجي كما كان يدللها ، فيبدو حينئذ على حقيقته شاباً قليل المثال بين الشباب الذين يحيطون به ، بآمال لا تمت الى محيطه اللندني في عام ١٩٠٣ بشيء ، وانما هي تحوم في آفاق غريبة عن افق الارستقراطية البريطانية والنشاط الصناعي في احواض الفحم والحديد ، وبنفسية ليس فيها من نفسه الشباب الوارثين شيء ، وانما هي مزيج من العمق والاستخفاف ، والتصميم والسخر ، كتلك التي ترتسم في حديث مركتشيو عن جراحه ورثائه لنفسه في المشهد الاول من الفصل الثالث من مسرحية روميو وجولييت. وفي ذات ليلة، بينما كان اوسكار بيري يصحب مرغريت الى بيتها في الجانب الفقير من احياء لندن سألته ، وقد رأته كعادته يحاول ان يخترق بعينيه ضباب لندن ليرى النجوم البراقة فوقه .

ـ ما الذي يجذب عينك الى اعلى ... دوماً الى اعلى .. فلم يجب اوسكار غير ان نظر الى اعلى ... الى اكثر علوا من قبل . فسألته في فضول المرأة اذا تحداه المجهول : ـ هل تبحث عن نجمك ؟.

فضحك وقال : ـ هذا الضباب البغيض يحول بين عيني وبين ما تريد لو رأيت يا ماجي النجوم في الشرق ...

فرددت ماجي كلمته الاخيرة في همس : الشرق ؟..

قال : ـ نعم .. السماء يا عزيزتي في مصر شفافة في زرقة ماء الغدير الساكن . وهي فوق دمشق كأنها قبة من بلور اخضر . وسماء اليونان شفافة وداكنة في آن كأنها الفيروز ...

فرددت ماجي مرة اخرى كلمته الاخيرة في همس : الفيروز..

قال : هذا في النهار يا ماجي العزيزة اما في الليل فان سماء الشرق واحدة . فانك ترينها فوق ابي الهول ومآذن دمشق والاكروبول قطيفة زرقاء منثوراً عليها ازهار الياسمين . ياسمين سوريا . هل تحبين رائحته؟ فقالت ماجي كالمسحورة : ما اعذب ما تقول يا عزيزي ! دمشق ... ابو الهول ... الياسمين ... ما احلى ان يعيش الانسان في الشرق !.

قال : ـ نعم ولذلك ساعود اليه غداً .

فرفعت ماجي رأسها مروعة ، وكان ملقى على كتف اوسكار في عربته التي تقلهما تلك الليلة ، وهتفت : ـ غداً ؟..

ـ ليس غداً بالذات ، ولكن في ذات غد ، غد قريب .

ما اقسى قلبك يا اوسكار .. هل تذكرني هناك ..

فتطلع الى عينيها من ظلام الليل وحدث نفسه انه يبحث عن النجوم في غير مظانها ، ذلك لان عيني مرغريت كانتا نجمتين كازهر ما تكون النجوم واشدها وميضاً . فلم يملك نفسه ان قبل اجفانها قبل ان يفتح لها باب العربة لتنزل وهمس في اذنها :

ـ الى الغد .

فرفعت ماجي يدها وشيعت العربة وهي تدير في سرها كلمته : الى الغد ، في مزيج من الكآبة والخوف والترقب .

ولم يلبث الغد القريب ان جاء . ولما كانت ماجي تعلم ان ليس لها مكان بين من لهم الحق في تلويح المناديل لاوسكار بيري وهو على ظهر السفينة فقد كان وداعها له في عربته في طريقها الى دارها . لقد التصقت به تلك الليلة والقت برأسها الدقيق على منكبه وهي تتنفس في عمق كأنها تتحسر وتتحسر في حرقة

كأنها تبكي . ولما ضمها اليهضمة الوداع احس يدها تسقط في جيبه شيئاً ثقيلا فلما اراد ان يتحسس ذلك الشيء قبضت باناملها الدقيقة على كفه ووضعت يدها الاخرى على فمه وقالت له في همس : ـ كيا تذكرني ... تحت اشجار الياسمين ...

وانسابت من العربة في خفة . فلما بلغ اوسكار بيرى داره فتح علبة القطيفة التي زلقتها ماجي في جيبه فوجد فيها ساعة ذهبية معلقة بها سلسلة من الذهب مثلها بديعة الصنع . وقرأ على غطاء الساعة هذه الكلمات منقوشة بحرف دقيق .

اوسكار بيري من ماجي ۱۹۰۳

فاحس لقراءتها بان انامل مرغريت الدقيقة تجري على صدره وتهصر قلبه في حنان وحب فاغلق في هدوء غطاء الساعة ووضعها في اقرب جيب الى قلبه ونام ليستيقظ باكرا ويتهيأ لرحلته الى الشرق .

كان الشرق عند اوسكار في هذه الرحلة مصر ودمشق واليونان ، وكانت بغداد اخر المطاف ، فقد كانت مصالح احياء لندن التجارية في البصرة تحتاج الى من يديرها . اما في بغداد فقد كان نامق بك الذي عرفه اوسكار بيرى في دار السعادة ، استانبول ، فكان رفيق صباه . وهو اليوم قائد الالاي المعسكر شمالي بغداد ويسره ان يلقى بعد فراق سنوات عشر صديق الصبا . ان الليالي التي كانت تطوف في مخيلة اوسكار بيرى في ضباب لندن هي هنا في بغداد على ازهر ما تخيل وتمنى . وشكرا لنامق بك قائد آلاي الخيالة الرابع فقد ملأ تلك الليالي دعة وحبوراً كما ملاء ايامها رحلات صيد وتجديفاً في دجلة . وكانت ذروة الحفاوة باوسكار بيرى ان جاءت راحيل الى معسكر آلاي الخيالة الرابع لتحيي تلك الليالي الساحرة بصوتها الدافيء الحنون ولتفضح نجومه الزاهرة بالق عينيها الحوراوين .

كانت راحيل مغنية يهودية ودرة حفلات الخاصة وضباط جيش السلطان في بغداد وحولها تلك الايام . وكان نامق بك بين العشرات من امثاله من صرعى فتنتها محظوظاً اذ كانت تجد بين لياليها المزحومة بالاسماء والمناصب فرصة تهرب فيها الى مقر قيادته كأنها طير يفر من سهام الصائدين الى مشتبك من الاغصان . فكانت فرصة لنامق بك ان يعرض على صديقه اللندني هذه الفتنة الاسرائيلية . فلما جلست في الليلة الاولى الى مائدة الشراب امامها تطلع نامق بك في عيني صاحبه ليرى ماذا يرتسم في حدقتيها لمرأى فاتنته . وكذلك فعل حين تناولت راحيل العود واخذت تغني بصوتها العذب اغاني تركية شجية واخرى عراقية مبحوحة النغم . وقد ابدى اوسكار بيرى ، كما كان خليقاً به ان يفعل ، اعجابه بصوت راحيل في غناء لم يكن يفهمه او يطرب له . ولكنه في برود الانكليزي العريق كان يخفي في ثنايا نفسه اعجابه الحق بجمال هذه الصبية الحسناء ذات الوجه البيضوي الدقيق والقوام اللدن متسائلا نفسه كيف استطاعت على دقة جسمها ولطف اعضائها ان ترضي عيون الناس في هذه البقعة من الشرق حيث تسود الجمال مقاييس من فراهة الجسم واكتناز الاعضاء وثقل الارداف . ولعل هذا التساؤل المخبوء في نفس اوسكار بيرى قد اطل ، حينما لعب الشراب بالسرائر ، اطل من عينيه بالقدر الذي اتاح لنامق بك ان يتفهمه . اذ لم يلبث الضابط التركي ان مد يده الى كتف صديقه وجره اليه بشدة وهو يقول : ـ هيه ، اوسكار ... هل اعجبتك راحيل؟..

فحنى اوسكار بيرى رأسه بلطف وهدوء كما لو كان يحيي اللادي اشفيل في المقصورة المجاورة لمقصورته في احد مسارح لندن وقال : ـ افندم !..

هذا في الليلة الاولى . اما في الليلة الثانية فان نامق بك لم يكن يتطلع في عيني صاحبه متصيدا اعجابه براحيل بل كان يتطلع في عيني هذه ليرى ما الذي ربط انظارها بمحيا ضيفه الصبيح وعينيه الزرقاوين وفمه المقوس الدقيق . ولعل ابخرة الوسكي الذي حفلت به مائدة الشراب قد صورت له امراً او اوحت له وحيا ، ذلك لانه انتصب بغتة واقفاً وضرب بجمع يده مائدة الشراب ثم رفسها برجله بقوة تطايرت معها الكؤوس وتحطمت الاباريق ثم صاح بصوت مختنق : ـ اوسكار . اوسكار . ان راحيل لي ...

فوقف اوسكار بيرى في هدوء وتطلع متسائلا الى الضابطين زميلي مضيفه والى المغنية الحسناء التي تراجعت الى زاوية الايوان تختلج اجفانها ويرتعش العود بين يديها ثم التفت الى نامق بك وحنى رأسه في لطف وفي صلابة بآن واحد وردد بتركيته الانكليزية تلك الكلمة التي كان يستسيغها من لغة الاتراك والتي كان يحملها معاني عديدة تختلف باختلاف المواقف : ـ افندم!.

وكأنه كان يقول للضابط المستشيط غضباً دون سبب معروف اني اوافقك . راحيل لك يا صديقي ...

ولما طلعت شمس النهار طلعت على نامق بك على رأس سرير ضيفه يعتذر اليه عما فعلت به كؤوس الوسكي ليلة البارحة . وقبل

اوسكار بيرى اعتذاره ولم يكن امامه ليدلل لصاحبه انه قبل ذلك الاعتذار بنفس رضية الا ان يحضر معه ومع راحيل ليلة شراب اخرى. وكانت ليلة مضطربة رغم كل ما قيل في اولها فقد كانت نفس الانكليزي مشمئزة وراء هدوئه وتعليقاته على احاديث نامق بك . وكانت نظرات راحيل قلقة لا تكاد تستقر على محيا مستر بيرى حتى ترتد عنه في اضطراب. ولم يكن شيء على ما كان عليه في الليالي الاولى الا كأس نامق بك من الوسكي فلم تكن تفرغ لتمتلىء ولا تمتلىء الا لتفرغ . وفي لحظة تبرم من هذا الجو المشحون بالتوتر الكامن والهدوء المصطنع مد اوسكار بيرى يده الى جيب صداره واخرج ساعته الذهبية ليتطلع فيها . فامتدت فجأة يد نامق بك عبر المائدة وقبضت على الساعة في شدة. وكانت حركة سريعة ومفاجئة ومصحوبة برنين من الكؤوس المتقلبة على المائدة بصورة اعادت الى الاذهان ثورة البارحة . الا ان اوسكار بيرى كان مسيطراً على عصبه ففك في هدوء سلسلة الساعة من صداره وقدمها ، في بساطة ، الى نامق بك .

ضحك نامق بك ضحكة عصبية وهو يقلب الساعة في يده ثم يفتح غطاءها. وقرأ بصوت مرتفع الكلمات الانكليزية المنقوشة على غطاء الظهر ، ثم ردد تلك الكلمات :

اوسكار بيرى من ماجي ١٩٠٣

وقال : ـ ماجي ... من ماجي هذه يا عزيزي اوسكار ؟

ـ ماجي اسم التدليل لمرغريت ، وهي صديقة لي

ـ صديقة لك يا اوسكار ؟ .. مثل راحيل تعني ؟ ..

فسكت اوسكار بيرى هنيهة لمعت في ذهنه اثناءها صورة ماجي ذات النفس الرقيقة ، وقال لنفسه : اليست كراحيل ؟ .. ولم يستطع ان يجد الجواب على سؤال نفسه ولا على سؤال نامق بك فاستمر في سكوته . اما نامق بك فقد ضحك من كل قلبه ضحكة عالية لم يلبث ان قطعها وقال في جد :

ـ اسمع يا اوسكار . قد تكون ماجي هذه التي تحمل اسمها قريباً من قلبك خطيبتك او ابنة عمك . ولكني ساعتبرها اليك كاعتبار راحيل الي صديقة عزيزة ...

وسكت قليلا فاومأ اوسكار براسه موافقة لعل نامق بك ياخذ بغير هذا الحديث الا ان قائد آلاي الخيالة الرابع رفع صوته من جديد وقال : ـ يا صديقي اوسكار بيرى ... لقد جرحت امس عواطفي حين بدر منك نحو راحيل ما ليس لك حق به . فلقد تطاولت عليها .

فابتسم اوسكار بيرى وقال :

ـ الم نصف هذا الحساب صباح اليوم يا عزيزي ؟

ـ لا تزال هناك بعض الشوائب . اني اسمي تطاولك على عزيزتي راحيل اهانة ، فاسمح لي ان اتطاول على عزيزتك ماجي فاهينها ..

فقال اوسكار بيرى وهو يوطن نفسه على سماع المزيد من هذر الضابط الذي لعبت الخمر برأسه : ـ لك ذلك يا صاحبي .

فاحتد نامق بك وصاح : ـ اليس بين اجدادك فرسان يا اوسكار بيري .. اذا حاولت ان تتهرب من مستلزمات اهانة صديقتك فانا لا افعل . هذا خصام لا يفضه الا الدم .

ـ افندم ...

ـ اقول لا يفضه الا الدم . يجب ان ترد علي اهانتي بطلبي للبراز .

فابتسم اوسكار بيري في هدوء مبطن بالقلق وقال: سنبحث هذا الامر غداً يا صاحبي . والآن طابت ليلتكم .

ونهض يريد التخلص من هذه الورطة بالانصراف الا ان نامق بك صاح :

الى اين يا مستر بيري . اذا لم تطلبني للبراز فانا اطلبك، لك ان تختار السلاح . وهذان هما الشاهدان.. وتوجه الى الضابطين اللذين كانا الى جانبه وقال : عثمان بك ... جلال الدين بك... اسالا هذا السيد عن السلاح الذي يريد مبارزتي به ...

وكان ليلة سوداء وجد اوسكار بيري نفسه فيها مسوقاً الى مبارزة هذا السكير الارعن الذي اطلق الوسكي جنون غيرته الباطلة من عقالها. فسار لا يكاد يعي مع مضيفه وغريمه والضابطين الشاهدين الى شاطىء النهر حيث كانت ارض فضاء تقوم بينها وبين مقر قيادة الالاى الرابع مجموعة من اشجار النخيل . وكان الليل في آخره ، تكاد تلوح من الشرق فيه مطالع نور الفجر الابيض . وفي الغرب فوق رؤوس النخيل كانت تلمع النجوم لمعاناً متقطعاً كانها تريق به آخر ما في آنيتها من السنى . تطلع اوسكار بيري الى السماء ثم عب من النسيم البارد ملء صدر وزفره بشدة كانما اراد ان يزفر معه مزعجات هذه الليلة ولكن صوت جلال الدين بك نفذ الى سمعه فجأة فرده الى ما اراد التخلص منه.

ـ مستر بيرى ، ادر ظهرك لنامق بك . ليسر كل منكما في اتجاهه عشر خطوات . واحد اثنين . ثلاثة ... عشر خطوات قف .. الى الوراء ... در !

فدار مستر بيرى ودار معه نامق بك حتى تواجها تفصل بينهما عشرون خطوة . وانطلق من جديد صوت جلال الدين بك : ـ الضربة الاولى من حق مستر بيرى . حينما اقول : واحد ، يطلق مستر بيرى...اثنين،يطلق نامق بك.والآن تهيأ !

احس اوسكار بيرى انه يرفع يده بصورة آلية ليسددهـا نحو نامق بك . وكان في ذهنه ان كل ما جرى الليلة عبث ودعاية ... اما لهذه المهزلة من آخر ؟.. وفجأة خيل اليه ان يد ماجي ذات الانامل الدقيقة تمر على شفتيه وان ثغرها اليـانع ينفث في اذنه : ـ كيما تذكرني . تحت اشجار الياسمين ... وتطلع الى ما حوله بنظرة سريعة فلم يجد غير اشجار النخيل ، فتنهد ...

ـ واحد، واطلق الرصاصة...

ولم يقل جلال الدين بك : اثنين لان يد نامق بك لم تعد ترتفع لتحمل مسدسه اذ حطمت رصاصة الانكليزي كفه .

وتحامل نامق بك على نفسه سائراً الى مقر القيادة ومستنداً الى ضابطيه بينما سار وراء الثلاثة اوسكار بيرى وهو يمسح جبينه ليقنع نفسه بان كل ما جرى في هذه الليلة كان حقاً لا اضغاث احلام ...

ايقن اوسكار بيرى في الصباح ان كل ما جرى امس كان واقعاً لا مراء فيه حين حجزت حريته وحبس حتى ينظر في امره خليل باشا سر عسكر السلطان وقائد قواته في العراق . وكان ضباط الحاميات المجاورة يتميزون غيظاً من جرأة هـذا الانكليزي على الضابط العثماني واطلاقه الرصاص عليه حين لم يكن احد يقدر ظروف الحادث حق قدرها . وفي موجة الحماس والحنق كانت الرغبة في ان يصار الى عقاب هذا الوقح عقاباً سريعاً حاسماً قبل ان تتدخل ايدي الساسة فيه فتحيل ناره برداً وسلاماً . وكان حظ اوسكار بيرى اسود ومستقبله قاتماً . فان الضابطين اللذين كانا شاهدا البراز اضاعا روح الانصاف في عاصفة الغيظ التي اجتاحت العسكرين . اما راحيل فكانت بغياً لا يطمع منها ببادرة خير ومن كانت بجانبه احبطت ميزانه . وحتى الساعة ، ساعة ماجي ، لم تعد الى صدر اوسكار بيري قريباً من قلبه ، بل اختفت . ذلك ان الجندي عبد الرحمن وهو مراسلة نامق بك الذي التحق بخدمته من دمشق قد وجد الساعة الذهبية على المائدة في اعقاب تلك الليلة المزعجة فوضعها بين الهرج والمرج في جيبه ... الساعة الذهبية ، ساعة ماجي المهداة الى اوسكار بيرى في عام ١٩٠٣ .

كما يتلاشى عالم بكامله حين تضيء الانوار في دار السينما ، تلاشت من مخيلتي ، بل من امام عيني ، الصور التي رأيتها منتظمة في الحروف المنقوشة على غطاء ساعة الملازم ممدوح حين احسست بان الملازم نفسه اصبح وراء ظهري وضع يده على كتفي وقال : ـ اطلت عليك يا صاحبي . هل انت نائم ؟

فرفعت اليه الساعة لاريه اني كنت اتأملها . فقال : ـ هل اعجبتك هذه ساعة جاء بها ابي يوم كان ضابطاً في الجيش العثماني .

فوجب قلبي واحسست في مزيج من الدهشة والرهبة احساس من راى حلماً بعيد المنال في ليله وشهره في الصباح يتحقق . هتفت به : ـ ماذا كان ؟

ـ من ؟ ابي ؟ . قلت كان ضابطاً في الجيش العثماني وفي معية قائد الجيش الرابع ، جمال باشا الذي هاجم ترعة السويس . هل سمعت عن حملة الترعة هذه.. لقد كان الاتراك في بلاغاتهم يقتلون كل يوم خمسة آلاف انكليزي اما في حملاتهم فقد كانوا يتراجعون خمسة آلاف متر كل ساعة . وعاد جيش السلطان بالهزيمة اما ابي فقد عاد معها بهذه الساعة .

فضحكت في فتور بيني وبين نفسي وتبادر الى ذهني انني تركت اوسكار بيري في السجن ينتظر مصيره المعلق بين شفتي خليل باشا قائد الجيش العثماني في العراق ولـكن هذا الملازم ممدوح يمسح كل هذا الذي رأيته بكلماته الاخيرة .

ورن جرس الهاتف في مكتب الملازم فهرع اليه وهو يقول: ساعود اليك بعد لحظة .

وكانت الساعة الذهبية لا تزال في يدي ، ففتحت غطاءها مرة اخرى فلاح لي اوسكار بيرى منتصباً بين حروف اسمـه المنقوشة على الغطاء انه هو ، قد لا يكون في سجن خليل باشا . وقد لا يكون مهدداً بالشنق او الموت في غيـاهب السجون ، ولـكنه في كل حال شخص بعينه ، واني اراه ... وعدت الى التطلع في الحروف المنقوشة والى قراءتها مرة اخرى :

اوسكار بيرى من ماجي ١٩٠٣

***

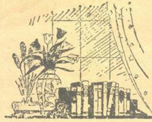
الليل ساكن عميق السكون. والسماء سماء هذه الليلة من الشتاء صحو الا من بقايا غيوم بعيدة في الافق الغربي لم تكن ترى ولـكنها كانت تحول بين نجوم الافق البعيد وبين عيني اوسكار بيرى . اما نجوم قبة السماء فكانت تتلألأ وضاءة فوق ديباجتها القاتمة كأنها لآلىء منثورة على قطيفـة سوداء في

حانوت جوهري في كينجس رود في لندن . لقد كان اوسكار بيرى الفتى الاشقر المديد القامة يحدق بعينيه الصافيتين في نجوم الليل وهو مستلق في خندقه على شاطىء قنال السويس وكأنه يبحث بين الكواكب المتلألئة فوق راسه عن كوكب حظه . فوقه كانت سماء مصر في ليلها مثلها في نهارها صادقة صافية تشع نوراً وسحراً. وعن يمينه كانت قنال السويس شعاعاً مستقيماً من النور الازرق ملقى بين كثبان الرمال. وعن يساره كانت تمتد الصحراء ، صحراء سينا ، ووراءها اجيال من التاريخ والوان من الحضارات مودعة عناوينها ورؤوس اسفارها في زوايا مكتبة بودليان في اكسفورد ، ولكنها هنا خلف هذه الكثبان حية حياة تكاد تنبض بها حبات الرمال وقطرات المياه . ما اعظم شوقه الى العالم الذي تقود اليه هذه الصحراء وأي رغبة يحسها في نفسه وتذكيها انوار النجوم الى ان يطبع على رمال سينا اثار قدميه في طريقه الى اورشليم ! .. ولكن «مارس» واقف له بالمرصاد ... وبينه وبين اورشليم العدو التركي ، وما مقامه، هو الكبتن اوسكار بيرى قائد السرية الثالثة من فرقة الرماحة الاولى على الضفة الشرقية من قناة السويس الا ليكون ديدبانا على هذا الشريان الحيوي من مواصلات الامبراطورية وعيناً لا تنام ترقب حركات جيش جمال باشا وحملته التي تحدثت المخابرات السرية بانها وشيكة الوقوع على الترعة ، تقدمت او كادت .

وتمطى الكبتن بيرى وهو في استلقائه لا يزال يتطلع الى النجوم البراقة فوقه كانها اعين الرقباء ، ثم مد يده في حركة آلية الى جيب صدره فاخرج ساعته الذهبية منه وبحركة آلية كذلك فتحها ورفعها الى مستوى بصره ولكنه لم يلبث ان ابتسم لنفسه حين ادرك ان انوار النجوم لم تكن تكفيه ليرى عقارب الساعة وهو في مكمنه من الخندق . واخذ يتحسس بيده الثانية تلك الساعة التي عادت بافكاره الى آفاق بعيدة عن الصحراء واورشليم وجيش جمال باشا ، الى لندن . واحس بيده تفتح غطاء ظهر الساعة وانه يتطلع الى ذلك الغطاء . وخيل اليه ان النور الذي اعوزه لرؤية عقاربها لم يعوزه لقراءة ما نقش على الصفحة الذهبية فاخذ يقرأ بصوت عال، وهو في الحق كان يقرأ من ذاكرته لا مما يراه امامه ، اخذ يقراء :

اوسكار بيرى من ماجي ١٩٠٣

اوسكار بيرى ... من ... ماجي... ١٩٠٣ ... ١٩٠٣ ...
انه الآن في شهر شباط من عام ١٩١٦ وقد مضى على هذا



الاديب



لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدؤها شهر يناير (كانون الثاني)
تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادى :

في لبنان وسوريا : ١٢ ليرة
في الخارج : ١٥٠ قرشا مصريا او ٦ دولارات ونصف
في الولايات المتحدة ١٠ دولارات في الارجنتين ١٠٠ ريال

اشتراك الانصار :

في لبنان وسوريا : ١٢٠ ليرة كحد اعلى
في الخارج : ١٤ جنيها مصريا او استرلينيا
او ٦٠ دولار كحد اعلى



المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاعلان تراجع ادارة المجلة



ادارة الاديب : باب ادريس ، شارع الكبوشية

تليفون { الادارة : ٤٧ - ٩٢ / المنزل : ٣٧ - ٤٨ } Tél. { Direct. : 92 - 47 / Dcle : 48 - 37 }



صاحب المجلة ورئيس تحريرها : **البير أديب**

توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي:
مجلة الاديب - صندوق البريد رقم ٨٧٨
بيروت - لبنان

التاريخ المنقوش على غطاء الساعة اثنا عشر عاما تنقص شهرا واحدا . منذ اثني عشر عاما تنقص شهرا واحداً لم يكن الكبتن اوسكار بيرى غير صبي اتم العاشرة من عمره قد البسوه في القصر الكبير الكائن في بركشاير لباس الرجل الكامل واخذوا في عيد ميلاده الحادي عشر يحتفلون به كسيد من سادة آل بيرى له سمتهم ووزاتهم وامتيازاتهم وعليه واجباتهم واتباع سلوكهم الاتباع الدقيق . بعد عيد ميلاده الحادي عشر هذا لم يعد لماري مربيته الاسكتلندية ان تكيل له اللطمات على كفه كلما مزق رداءه وهو يخترق سياج الحديقة الشائك . ولم يعد لنيكولا ، رئيس الخدم الفرنسي المتزمت ، ان يمنعه من دخول قاعة التدخين في قصر آل بيرى حين يخلو بها الرجال من ضيوف القصر بعد الغداء ، بل ان نيكولا بعد الآن سيتقدم بنفسه ويفتح باب البهو بيده وينحني له قائلا : ــ ليتفضل سيدي بالدخول .

انه ، اوسكار بيرى ، بعد عيد ميلاده الحادي عشر سيدخل زمرة الرجال بعد ان كبر عن ان يكون طفلا . والحق ان كثيرا مما في عالم الرجال يستهوى اوسكار بيرى ويجعله يترقب ليلة ميلاده هذه بلهفة واشتياق ، ولكن الاسى كان يتطرق الى فؤاده حين يذكر ان علاقته بجدته العجوز ستدخل في طور جديد . اصحيح ما لقنته مربيته من انه لن يستطيع بعد الآن ان يثب على ركبتي جدته او ان يدعوها باسمها القريب من قلبه ــ جدتي ماجي وان عليه ان يناديها دوما في حضورها بيا سيدتي ، وان يذكرها دوما في غيابها بسلسلة طويلة من النعوت ــ ليدي مرغريت هارتسموت اف بيرى ...

واستمر الكبتن بيري يستعيد ذكرياته عن حفلة عيد ميلاده في آذار عام ١٩٠٣ كانت حفلة رائعة تكاد تكون كل تفاصيلها مطبوعة في ذهنه كانها جرت بالامس ولولا تهويمه وتغلب النعاس عليه ليلتئذ لاستطاع ان يذكر الى اليوم خطبة مربيه اللاتينية بنصها . ولكنه لا يزال يذكر كيف تقدمت جدته اليه ورفعته بين ذراعيها الضاويتين بضع بوصات عن الارض وقبلته ثم تناولت من كيس يدها الجلدي الذي لم يكن يفارقها ساعة جميلة ، ساعة رجل كامل النمو . يتلالأ تحت اضواء الشموع غطاؤها الذهبي . ولا يزال يذكر كيف اطارت هذه الساعة النعاس من عينيه وكيف قرأ كلمة الاهداء المنقوشة على غطاء الساعة بصوت عال

اوسكار بيري من ماجي ١٩٠٣

وكيف نسي في غبطته بهذه الهدية تقاليد اسلافه من آل بيري فلم ينحن لجدته باحترام ، ولم يطبع على ظهر يدها المعروفة قبله تافهة بل احتضنها وهتف بملء قلبه : شكراً يا ماجي ...

ولا يزال يذكر كيف عبست ماجي في وجهه وهي تقول مصححة اسمها كما يجب ان يردمنذ الليلة على لسان حفيدها : ليدي مرغريت روز انا هارتسموت كوتس اف بيري ...

... حين بلغ الكبتن بيري هذا المبلغ من ذكرياته كانت تباشير الفجر قد بدت من الشرق في ضياء شاحب . فوقف في خندقه واخذ يجيل النظر في الظلام الذي اخذ يهت شيئا فشيئا . وتطلع الى الشرق فخيل اليه ان الافق الذي يعرفه في كل فجر كخط مستقيم عند ملتقى الارض الكامدة بالسماء التي بدأ النور يتنفس فيها ، ان هذا الافق لم يعد سويا بل تراءت فيه رؤوس ونواتيء . وفجأة غاب كل العالم الذي خلقته الذكريات لاوسكار بيري وانبعث في وجدانه واقعه الحاضر كقائد لفرقة حرس بريطانية على الضفة الشرقية من قنال السويس .. في واقعه هذا ان النواتيء والرؤوس في الافق المستقيم هي العدو ، وان هذه حملة باشا لا بد اقبلت ...

لقد روت يوميات الحرب العالمية لعام ١٩١٦ قصة حملة الترعة الفاشلة بالتفصيل . ولكن في مطاوى ذلك التفصيل ضاعت قصص عدة احداها قصة الكبتن اوسكار بيري وقوته الصغيرة من الرماحة البريطانيين التي تلقت الصدمة الاولى لجيش جمال باشا في الثالث من شباط سنة ١٩١٦ . كان الكبتن بيري يعرف انه في القلة من جنوده لن يستطيع صموداً امام اللجب الزاحف اليه في غبش الفجر ، والذي خيل اليه انه بين لحظة رؤيته لطلائعه ولحظة ادراكه لمعنى هذه الطلائع ملاء الصحراء المنبسطة امام عينيه رؤوسا لجنود زاحفة في سرعة السيل . فكان همه ، هم الكبتن بيري ، ان يثبت انه لم يؤخذ على غرة ، وان يسرع في اثبات ذلك لتستعد القوات المرابطة على ضفة القناة الغربية للهجوم المفاجيء . وهكذا مزق الرصاص بقايا ظلام الليل من افواه بنادق الرماحة فامتلا جو الترعة وصحراؤها بالنذير وبدأت المعركة . واذا كان رماحة الكبتن بيري قد استطاعوا ايقاف الصف الاول من الهجوم المقبل عليهم فانهم عجزوا عن ايقاف جنود الصف الثاني ، فقد كان هؤلاء يثبون فوق جثث رفاقهم كالشياطين والحراب على رؤوس البنادق ليقتحموا عليهم الخنادق فكانت في قاع تلك الخنادق المظلمة معركة لم يكن للجنود البريطانيين ولا لقائدهم مفر من مصيرها . ولقد لقوا ذلك المصير .

وفي فلول الظلام المنهزم امام النور اخذ الاتراك ورجال مدفعيتهم من حلفائهم الالمانيين يوطدون مراكزهم على الضفة الشرقية ويجيبون على مدفعية القوات البريطانية بحمم من قنابل شربنل وكانت بدويها ونارها والموت الزؤام الذي تحمله تمزق في آن واحد السكون والظلام والجسوم .

في تلك الاثناء كان ملازم تركي قصير القامة ذو شاربين دقيقين معقوفين يتنقل وراء الخنادق التي مزقت جثث حماتها متفقداً جنده فلحظ ذلك الملازم ان احد رجاله وكان يعرفه جيداً ، وهو احمد آغا المرسيني قد انبعث من احد الخنادق متلصصاً ـ بندقيته معلق حزامها برقبته وملقاة على ظهره وهو ينقل يديه بين جيوبه كأنه يدحوها باشياء فصاح به : ـ احمد آغا .

فهرع الجندي اليه وقال : ـ افندم ...

ـ ماذا كنت تفعل في الخندق ؟

فكشر احمد آغا عن انيابه في ضحكة صفراء واخرج احدى يديه من جيبه وهي تحمل خليطاً مما في جيوب الجنود : علبة دخان وموسى وادوات افرغ منها جيوب قتلى الانكليز . وبعد ان عاد الخليط الى جيبه مد يده الى عبه واخرج منه ساعة ذهبية قدمها الى الملازم وقد اتسعت فجوة فمه تحت شاربيه المتهدلين في ابتسامة اعرض من الاولى وقال : ـ هذه تليق بجناب الملازم .

فتناول الملازم القصير القامة ذو الشاربين الدقيقين المعقوفين تلك الساعة وضحك وهو يفتح غطاءها واخذ يتهجى ، في افرنجيته المحطمة ، الكلمات المنقوشة على ذلك الغطاء بالاحرف اللاتينية .

اوسكار بيري من ماجي ١٩٠٣

وبعد ان اغلق الغطاء ودس الساعة في جيبه توقف وقد خطر له خاطر : ليست هذه الساعة الثمينة مما يحمله الجنود العاديون انما هي ساعة ضابط مترف فاين جثة هذا الضابط ... وصاح في احمد آغا الذي ما زال واقفاً ينتظر بقلق ارتسامات وقع هديته على وجه ملازمه : ـ من اين اخذت هذه الساعة ؟.

فاشار احمد آغا الى خندق بعيد : ـ من ملعون هناك كانت يده يابسة عليها .

ـ اما وجدت في جيبه اشياء اخرى ، اوراقاً مثلا ؟.

ـ لم ابحث في جيوبه يا سيدي .

ـ دلني على جثته .

فسار احمد آغا وتبعه الملازم الا ان العجيب ان لا يتعرف احمد آغا على جثة من سلبه ساعته بين جثث الجنود الانكليز التي كانت منتشرة في اوضاعها المفجعة في قاع الخنادق وخلف المتاريس . واعجب من هذا ان لا يجد الملازم اثراً لضابط بين جثث هؤلاء القتلى في حين كان واثقاً انه ما دامت تلك الساعة الذهبية في يده ، فلا بد من ضابط كان يحمل هذه الساعة ويحمل معها معلومات او اوامر اثمن بكثير من التحف الذهبية التي حملها اليه هذا النفر من فرقته . ولما لم يثمر بحث احمد آغا شيئاً اضطر ان يعود الى افراد قطعته لا سيما وان القوى التركية اخذت تتهيأ لانزال الزوارق في الترعة .

ولم تطل معركة الترعة اكثر من يوم واحد . واضطرت حملة جمال باشا الى الانكفاء دون ان يتاح لجمال باشا ان يحمل لقب فاتح مصر . وعاد ذلك الملازم في الجيش التركي مع فلول الحملة وفي جيبه ساعة ذهبية لضابط انكليزي سلبت من جثته على ضفة القنال ولم يتمكن ذلك الملازم ولا جنديه احمد آغا من العثور على جثة الكبتن اوسكا بيري لان ذلك الضابط الانكليزي ، وكان قد اصيب اصابة مميتة القته في قاع الخندق بين الموت والحياة ، لان ذلك الضابط ...

***

اضيئت الانوار مرة اخرى في القاعة المظلمة لتصوراتي التي كنت ارى فيها قصة اوسكار بيرى تمثل على شاشتها . اضيئت الانوار مرة اخرى حين وضع الملازم ممدوح

يده على كتفي وقال لي :

ـ لا تزال هذه الساعة في يدك . هل قرأت ما هو منقوش على غطائها ؟..

فرفعت اليه بصري ، وانتظرت حتى استدار وجلس امامي فازحت يدي عن الغطاء ، وكان مفتوحاً ، وقرأت منه :

اوسكار بيرى من ماجي ١٩٠٣

قال : ـ هل قلت لها ان هذه الساعة كانت في ملك ابي منذ الحرب العالمية الاولى ؟

قلت : ـ نعم . جاء بها من ترعة السويس من ضابط انكليزي قتل ، ولعله جرح فحسب ، في حملة القنال .

قال : ـ ضابط انكليزي ؟.. اي ضابط ؟

ـ الكبتن اوسكار بيرى من رماحة صاحب الجلالة ملك بريطانيا .

قال : ـ من قال لك هذا ؟..

وسكت قليلا ثم انفجر ضاحكا وهو يقول : ـ اوسكار بيرى .. هل ظننت ان لهذا الاسم صاحب له وجود في الوجود. ساقص عليك قصة هذه الساعة : جاء ابي بهذه الساعة من فلسطين في عودته من حملة السويس في الحرب العالمية الاولى ، اشتراها من حيفا بثمن بخس من احد الباعة ولعله ، اقصد ذلك البائع ، كان قد سرقها او اشتراها من سارق . وشببت وانا ارى هذه الساعة معلقة بسلسلتها الذهبية في صدر ابي فكنت ارقب اليوم الذي ابلغ فيه مبلغ الرجال لتكون لي ساعة مثل هذه الساعة معلقة بسلسلة مثل سلسلتها في جيب صدري . وكان ابي ، في طفولتي وصباي ، صديقاً لي فكنت اجرؤ عليه بما لا يجرؤ به لداتي على ابائهم. ففي ذات يوم ، وكنت قد جزت فحص البكالوريا بنجاح ، تفقد ابي ساعته فلم يجدها . وكان اسفه وتلهفه على تلك الساعة شديدين بقدر ما في صحبتها له من امد وما تذكره به من ايام فائتة. وقد عرضت عليه ، بالحاح كريم ، ساعة يدي لاني انبأته بان لي رغبة باستبدالها بساعة جيب، فقبل وفي ذات يوم جئته بنبأ غريب ، فقد وجدت في رحلة لي الى بيروت ساعة مثيلة لساعته الضائعة ، قد انتجها المعمل نفسه وصاغ حلتها الصائغ ذاته ولعلها خرجت الى السوق في ذات اليوم الذي خرجت اليه فيه ساعته المأسوف عليها . ولولا فارق واحد لما شككت ان هذه الساعة التي وجدتها هي ساعة ابي المسروقة . ولأثير دهشة ابي وضعت امامه الساعة التي اشتريتها فتطلع اليها كمن وجد عزيزاً مفقوداً ولكني فتحت له غطاء ظهرها فرأى عليها منقوشاً :

اوسكار بيرى من ماجي ١٩٠٣

وهي كلمات لم تكن على غطاء ساعته العزيزة .. وفي رحلة اخرى لي الى بيروت وجدت لهذه الساعة سلسلة كتلك الضائعة كأنما صاغها صائغ الاولى.فكان ذلك في نظر ابي امراً معجزاً اخذ يقصه على اصحابه في نادي الضباط المتقاعدين . بينما كانت الحقيقة ، ولا اخفيها عنك ، ان الامر كله لعبة مني نقشت بها في بيروت هذه الكلمات على غطاء ساعة ابي من الداخل لا تمكن من حملها دون ان اثير شبهات ابي او احتجاجه .

قلت له : ـ ولكني اعرف يا ممدوح اوسكار بيرى .

فضحك وقال : ـ مستحيل . قد تكون عرفت ماجي فانها تلك الارتست الهنغارية التي سحرت رواد ملهى الكيت كات وابتزت اموالهم منذ بضع سنين . لقد كنت حين حفرت اسمها على غطاء الساعة ، صاحياً لتوي من سكرة انكليزية كانت على شرفها . اما اوسكار بيرى فهي شخصية من بنات خيال صاحبك الواقف الآن امامك .

وسكت فسكت برهة مرت علي مر البرق الصور التي تراءت لي على سطح غطاء الساعة وفي وميض اشعة شمس الظهيرة: ماجي فتاة البلاد يوم وماجي كونتبر هارتسموت اف بيري، واوسكار بيري الطويل القامة الازرق العينين ، النبيل التقاطيع في المآزق التي رايته فيها منذ برهة رأى العين ... ما هذا الذي يقوله صاحبي الملازم ممدوح عن كل الشخوص التي لاحت لي حية منذ قليل ..... وتحققت من مقعدي واتجهت ببصري الى ساحة الثكنة القفراء . وكان نور الشمس فيها لا يزال قويا محرقا والشخوص فيها صريحة واضحة ، ومثلها كانت الصور التي رايتها وانا اتامل في ما هو منقوش على غطاء الساعة. حينذاك استدرت الى صاحبي الملازم وقلت له .. وكاني في ذاك كنت احدث نفسي

ـ ولكني مع ذلك يا صاحبي اعرف اوسكار بيري .اعرفه جيداً يا ممدوح ...

ودون ان ادع له مجالا للتعليق او السؤال انطلقت احدثه في قضية ابل البدوي التي جاءت به اليه في هذا الحر الخانق وفي هذه الطريق الطويلة الممتدة بين البلدة وثكنة حرس العشائر .

الرقة ـ سوريا

عبد السلام العجيلي

العنكبوت



العنكبوت
والظل يحفر في الجدار
نعش النهار
نعشاً ، واقبية ودار
ويداً ترش على البيوت
ليلا يغلغل في سكون
في الذكريات وفي العيون
حتى تموت ولا يموت
فكأن ساحرة تطوف من قرون
فوق الظلال
شمطاء ترضعها الليالي
لبناً تسوده خطايا ثم يحلبه عقاب
فيبل خرطوم الذباب
اذ يحلب الفجر الضباب
وتضج اجنحة الذباب
والظل يشحب ثم ينهدم النهار
ويعود يرسم حيث تضطرب الرياح
ارجوحتين الى الصباح
والعنكبوت
ما زال يحفر فوق مقبرة النهار
تلك البيوت
ويداً تموت
فيلوح من خلل السنين على الجدار
ماخطه الأطفال امس على الغبار
مهداً واجنحة ودار
مهداً ودار

بغداد — طه العبيدي

من روائع الغناء

فــردي

بقلم صميم الشريف





ان تاريخ ايطاليا الموسيقي في جميع اطواره يشهد بانه لم يكن ابداعياً ابداً، وأنه منحصر في قوقعة مغلقة من الكلاسيكية التقليدية، وهو اذا كان فقيراً بالابداعيين من الموسيقيين فانه يكاد يكون طافحاً بعباقرة الفن الغنائي وفردي هو اقوى ملحن « اوبرا » غنائيات عرفه تاريخ الغناء في ايطاليا.

لقد تبين لنا من الاعداد الماضية * التي سبق وعالجنا بها غنائياته من انه كان يختار قصصها من بين المآسي الانسانية التي تتصل بواقع الحياة التي نعيش ونحيا بها.

ويكاد فردي وواغنر يكونان على طرفي نقيض في هذا المضمار، اذ ان الاخير كان يختار مواضيعه من القصص الخرافية والاساطير الخصيبة فيحلق في جوها السحري ويستوحي موسيقاه التعبيرية التي كثيراً وغالباً ما تكون متسمة بطابع فكري عميق.

لاترافياتا

اقتبس فردي غنائية لاترافياتا من قصة غادة الكاميليا المشهورة لمؤلفها الكبير الكسندر دوماس الابن، وقد اخرجها للمرة الاولى عام ١٨٥٤ في مدينة البندقية فكان نصيبها الاخفاق الذريع، وقد علل النقاد حينذاك الاسباب الرئيسية التي ادت الى سقوطها في صعوبة ادوار المغنين والمغنيات وخاصة دور المغنية الرئيسية فيها.

ولقد ذهب الناقد بونافيا في رأيه الى ابعد من هذا بقوله: ان الناس قد يستسيغون الغناء او التمثيل الدرامي، اما ان يقدم لهم تمثيلا دراميا مصحوبا بالغناء فهذا لا يمكن تذوقه او هضمه.

على انه لم يقدر لهذه الغنائية الشهرة والذيوع، وان تحتل مكانتها بين الغنائيات العالمية الا في عام ١٩٠٤ حين قامت المغنية المشهورة بيلينكي بغناء الدور الاول، ومنذ ذاك التاريخ رسخت وثبتت لاترافياتا اقدامها في عالم الغناء، كما هرع النقاد لدراستها من جديد وصنفوها مع غنائيات فردي الاخرى فكان ترتيبها الثاني بعد عائدة.

تتألف هذه الغنائية من افتتاحية واربعة فصول كل منها مرتبط بالآخر تمام الارتباط.

ان المستمع او المشاهد حين يسمع الافتتاحية يدرك أن فردي لخص الموضوع في لحنين رئيسيين، رمز في الاول منها لمرض فيوليتا وفي الثاني لحبها.

ويلاحظ في الفصل الاول وهو زاخر بالموسيقى الراقصة الخفيفة المنسابة في رقة كهمس الحب ومفعوله السحري في النفوس أن فيوليتا المريضة بالسل والتي شفيت حديثاً منه قد التف حول موائدها العامرة بالطعام والشراب قوم لا تهمهم في حياتهم سوى لذائذهم، وكانت السعادة تبدو على وجهها لتعرفها بالفريدو الشاب الذي اظهر لها عواطف صادقة من الود الذي يكنه لها منذ امد بعيد.. منذ كان يرسل لها باقات الكاميليا إبان مرضها مستفسراً عن صحتها.

وعلى انغام الفالز الرائع خاصر الفريدو فيوليتا وانطلق بها في ابهاء الحديقة الوارفة مطلقاً لصوته العنان شادياً بالخمر والحب والجمال، ولكنه لا يلبث ان ينقطع عن غنائه ويرتسم الحزن بأبلغ صوره على وجهه حين تنتاب فيوليتا العليلة نوبات سعال مرضها الكريه، فيساعدها في الوصول الى غرفتها، بينما انغام الفالز العذبة ما زالت تنساب بسحرها الأخاذ، والقوم ما زالوا يمرحون ويصخبون.. وهذه الصورة المتناقضة بين مرض فيوليتا المفاجيء والمدعوين المعربدين هو تعبير اراد به فردي واقع اولئك الذين لا يعبأون بما يحدث حولهم من آلام، كأن مشاهد الدماء والألم تروي نفوسهم

* راجع الأديب يوليو ١٩٥٠ ويناير ١٩٥١

الظمأى دوماً الى اللذائذ الجسدية المبهجة.

***

وينتقل بنا فردي بعد هذا الى الفريدو وفيوليتا وقد اختليا معاً واهملا القوم الصاخب فيشتركان بغناء رائع يخط به فردي بأنغام بسيطة جميلة شخصية الفريدو الشاب البسيط العاشق الذي يعترف بحبه بسذاجة متناهية وبأنغام اخرى مركبة شخصية فيوليتا الغانية الطموح التي تجيد العبث بالقلوب والتي تأبى الرضوخ لنزوة حبه وعاطفته، ولقد عبر فردي عن كل هذا بتلك النغمات التي لم تستقر على لحن معين كأنها تنفر من تلك الأهواء التي تعصف وتضج بقلب العاشقين اللاهيين .

ولا تلبث الموسيقى ان تغدو حيرى بين الهدوء والصخب حين تخلو فيوليتا بنفسها . فقد تمكن حب الشاب من قلبها هي لا تدري ما تفعل بالصراع الدائر في اجوائها متعجبة من شعورها الصادق الذي انبثق في ذاتها ، واحساسها الذي كان يدعوها بقوة للانسياق وراء الخيال الجميل الذي رسمه لها الفريدو بالهدوء .. الهدوء تحت رعاية حب صادق صادر من اعماق نفس والهة صادية وما اجدره به.

ولكن فيوليتا تؤكد لنفسها بغنائها المضطرب المرتجف بأنها ستنغمس في بؤر اللذائذ للاستمتاع بشهواتها لأنها امرأة وحيدة لا تملك غير جمالها في هذه المدينة المرعبة باريس فهي مضطرة لذلك .

ولكن صوت الفريدو الذي كان يطرق اسماعها من الحديقة كأنه الصدى، يحذرها مغبة ذلك ، ويعدها بالحياة الهانئة الهادئة الجميلة معه .

ويجيء الفصل الثاني من هذه الغنائية طافحاً بالغناء والحوادث الممتعة، فالعاشقان غادرا باريس وقطنا كوخاً بعيداً عنها وجدا فيه سعادتهما . على ان فيوليتا كانت تخشى هذه السعادة المفاجئة التي ترفل بها وصح ما توقعته فقد جاء والد الفريدو لينتزع ابنه من احضان العشيقة المفتون بها، فيعثر على الكوخ وينتهز فرصة غياب ابنه فيطرق الباب ويدخل محيياً فيوليتا ومعرفاً بنفسه ، فيدور بينهما حوار غنائي عنيف كانت تنطفىء حدته كلما اوغل الأب في معرفة الحقيقة ووجد بأن فيوليتا اعطت ابنه أكثر مما تأخذ ، فيرق صوته حتى يغدو هادئاً حزيناً فيترنم مستعطفاً :

ان لألفريدو شقيقة جميلة ستتزوج
وخطيبها لن يرضى بها الا اذا هجرك
فامنحيها السعادة .. امنحك البركة
ويمنحك الله الغفران
ان ابنتي جميلة مثلك .. ولها قلب كقلبك
امنحيها السعادة لأجلي .. استحلفك بالفريدو

ويظهر التصوير الموسيقي والغنائي هنا بابلغ صوره واروعها ، فالموسيقى صاخبة تصور الثورة المعتملة في صدر فيوليتا وخمودها حين تقبل بالتضحية من اجل ذلك بينما يستمر الاب في غنائه مستعطفاً مسترحماً شاكراً، ومع حشرجات التشيلو الحزين ينهي الأب غناءه بقوله : ابكي، ابكي ايتها البائسة ثم يضمها وينصرف

تهيء فيوليتا بعد انصراف والد الفريدو رسالة لحبيبها تعلمه فيها بأنها قررت قطع ما بينهما من رابطة والعودة الى سابق عهدها .

ويأتي حبيبها بعد قليل فتعانقه وتبلله بدموعها وتغني غناء مرحاً كانها تودعه فيه الوداع الاخير ... بينما كانت الانغام الكئيبة تنبعث من اوتار التشيلو المهتزة والكلارنيت التي كانت تنوح مرددة ما يئن به الكمان الراعش . وهنا ينتهي الفصل الثاني .

***

يبدو الفريدو في مستهل الفصل الثالث قلقاً على حبيبته لغيابها المفاجىء . وحين تصله رسالتها الآنفة الذكر يضطرب وقد اضاعت صوابه عباراتها القاسية ، وتهفو نفسه فيستعيد ذكرياته ولياليه الخوالي وحبه بأغنية مضطربة بلغت بتلحينها حد الاعجاز ، ثم نجده قد وطد العزم على الانتقام لحبه ، لان فيوليتا آثرت عليه عشيقها السابق وهو نبيل مشهور بغناه الفاحش .

وفي حفلة ساهرة يربح الفريدو كثيراً من المال من عشيقها فيجمع المدعوين ويقذف بما ربحه من مال في وجه فيوليتا قائلا لهم: كونوا شهوداً بأني قد سددت ما لهذه من دين في عنقي ، فيرددون ذلك ويتابعون الغناء باصوات موزعة توزيعاً هارمونياً رائعاً معلقين بغنائهم على الحادث . ويدخل والده اثناء ذلك ويوبخه لاهانته امرأة ضعيفة ويعتذر لها عن سلوك ابنه ثم يخرج به حيث يسافران الى بلدهما .

اما فيوليتا فقد هدت قواها هذه الحادثة فيغمى عليها وقد اورثتها واعادت اليها داءها العضال .

يفتتح الفصل الرابع بمقدمة موسيقية جميلة تعود بأذهاننا الى تلك الانغام الحزينة التي استمعنا اليها في مفتتح الغنائية والتي رمز بها فردي الى مرض فيوليتا ثم تنفرد كمان واحدة بالعزف برفق مصورة ببراعة ألماً ممضاً وانينا قاتلا كالحشرجة المنبعثة عن التأوهات اراد بها فردي تصوير آلام فيوليتا وتعاستها ثم لا تلبث هذه الكمان ان تضيع انغامها

انتظار



ها أومأ الفجر ، ولم تقبلي يا لهفة الأطيار للجدول
أصغي الى همس الخطا ذاهلا فتعتريني نشوة المامل
حتى اذا غاب الصدى وانجلى وهمي ، ولاحت خيبة المبتلي
رجعت للكأس فافرغتها على شفاه بعد لم تثمل

***

بالأمس ، قالت إن لي موعداً أندى من الفجر ، هواه الطلي
لا تنس ، واختالت ، فاتبعتها قلباً ، بغير الحب لم يحفل
ورحت من شوقي ، أصيد المنى وبي جنون الثاكل المعول
وهمٌ شهي اللمح ، لكنه صعب ، على نفس المحب الخلي

***

يا وهم ، أفنيت الدجى ساهراً ولم تزل في صمتك المخجل
قل للتي خانت عهود الصبا غدرت بالقلب ، ولم تعدلي
غداً يلف الموت مخلوقة كانت أناشيد الهوى الأول
ويسأل الريحان عن قبرها ولو درى الريحان ، لم يسأل
حسب الرؤى منها على حرقة إيماءة الحساد ، والعذل

طرطوس — أنور الجندي

بين ضوضاء الموسيقى المرافقة لها فيمتزجان معاً في نغم واحد رتيب حزين.

وفي الفصل الاخير تبدو فيوليتا في غرفتها محتضنة رسالة من الفريدو الذي يخبرها فيها بانه علم من والده بكل شيء وانه قادم اليها .

وتتعاقب المشاهد بسرعة، فهي تريد ان تكون جميلة ، ولكن المرض لم يترك لها من جمالها الا شعرها الطويل وعينيها الغائرتين ووجهها الكالح. وهي تفتش تريد ان تلبس ثوبها الابيض الجميل الذي يحبه الفريدو ، ولكنها لا تلبث ان تواجهها الحقيقة المرة فيعقد لسانها الرعب والخوف على نفسها وعلى حبيبها، وتصل الى مسامعها من الطريق اهازيج وضوضاء صاخبة فتتذكر ان اليوم هو عيد الكرنفال. فتتحامل على نفسها حتى تصل الى النافذة فترى الجموع المتراصة من الناس يملأون الارض مرحاً ومن بينهم اصدقاؤها الذين باتوا يرتدون عن طرق دارها الحقير والاستفسار عن صحتها .

لقد اعترفت قبل برهة الى الأب الذي جاء يزورها ليطهرها من آثامها وخطاياها كأن نهايتها دنت وساعتها حلت، انها واثقة من أن قبرها لن يعرف غير ورود الفريدو البيضاء وترابه لن يرشف الا من دموعه السخينة ، اما هؤلاء فسيتحدثون عنها بأنها كانت غانية فحسب، وان فلاناً نعم بحبها وآخر قد انفق ثروته عليها .

وترتعش الموسيقى لارتعاشة فيوليتا وتخفق بعنف، فقد وصل الفريدو الذي يرتمي بأحضان فيوليتا الواهنة.. ثم ينطلق صوتاهما بالاغنية التي روعا بها باريس فيما مضى كأنهما يودعانها ثانية الآن ليعيشا من جديد لا يغمرها بعطفه سوى الحب.

وتركع فيوليتا مبتهلة لربها أن لا يتركها تموت فهي ما تزال شابة كالوردة النضرة، وتهدر بدعائها الغنائي مرتجفة :

ربي ان الفريدو بجانبي
سعادتي بدأت الآن
فهبني لحظات احيا بها حياة جديدة

وتنساب الانغام الحزينة مرسلة ومذكية المادفينا وتنهض فيوليتا عن الأرض وتعطي الفريدو صورتها وهي تغني على انغام الفالز الذي رقصا عليه فيما مضى في تعارفهما الاول .

وكانت فيوليتا محلقة بأحلامها وآمالها فتقطع نشوة غنائها وآمالها نوبات سعال حادة قوية لا تلبث ان تهدأ فتعانق الفريدو وتقبله وهي تصرخ :

يا سعادتي سأعيش ثانية
سأعيش ثانية يا الفريدو
ثم تسقط على الأرض جثة لا حراك فيها

دمشق — صميم الشريف

عندما يرقص السود النيمبا والباندا

بقلم يوسف ابو خليل

لهؤلاء السود ، الذين منعتهم ظروفهم من التقدم ، طريقة عيش فيها من ظواهر البساطة والسذاجة ما وفر لهم الكثير من امكانيات اللهو والمرح . فراحوا يعيشون عيشة خالية هائئة ، يصفعون الحياة بالسخرية بينما تصفعهم بالآلام ، لقد جعلوا من عيشهم الجماعي سلسلة لا تنتهي من دورات رقص وغناء . فما من ليل يقبل على اولئك السود البدائيين الا وحلقات رقصهم تكون قد انعقدت ، وصياحهم الغير المألوف قد اخترق الفضاء ممزوجاً بصدى قرع طبولهم وانغام آلاتهم الموسيقية . وهذا ما جعلهم يتقنون الضروب العديدة المتنوعة في فنون الرقص ، ويذهبون فيها اشواطاً بعيـدة لفتت نظر الغربي فراح يأخذ عنها ويجاريها . وهل رقصتا البوغي بوغي والضمبا وغيرهما من الرقصات الظاهرة حديثاً على المسارح وفي نوادي الرقص غير تقليد فعلي لرقصات زنجية ؟.. هي صبغة جد طريفـة ومؤنسة تصطبغ بها فنون الرقص عند السود من تأثير ايمانهم بالخرافات والاوهام ، وهذا ما يدفعني الى ان اقدم اليك ايها القارىء الكريم في هذه الصفحة من « الاديب » نموذجاً من الرقصات الافريقيـة ، آملا ان تشاركني ، بعـد الوقوف عليها ، بعض الانس والدهشة .

رقصة النيمبا Nimba او رقصة القناع الاكبر

لما كان الرقص المقنع منتشراً انتشاراً عاماً في جميع الانحاء الافريقية السوداء أراني اختصر حديثي الآن عن هذا النوع من الرقص آملا ان اوفق الى اكتشاف نوع آخر لا يقل غرابة وطرافة .

ففي اوائل ايام الزرع وقبل انتهاء فصل الصيف بقليل ، او عند ابتداء موسم الحصاد ، بعد ان تنجلي الطبيعة ، تظهر الى الوجود . بين قبائل الباكا (١) رقصة « النيمبا » وقلما تظهر في غير هذه المناسبات ، ذلك ان « النيمبا » هذا ليس سوى اله من موديل النيمبا فورى (٢) او اتباعه ، واطلق عليه اسم اله الزرع والخصب . وفي ليل اليل ، ارخت عليه العتمة جميع ما عندها من ستائر تنعقد دورة الرقص . فلا يتاخر باكاوي او باكاوية عن الاشتراك فيها . فهي تتسع للمئات من الاشخاص ، فالسـاحة حيث تدور الرقصة ممتدة وفسيحة . تؤلف الحلقة الامامية الاولى مائة وما فوق من الذكـور ، يبدون في هرج ومرج وفي يد كل واحد منهم غصن شجر رطب اخضر طويل كلما هم حامله بحركة او قدم رجلا او اخراختها ضرب بـه الارض ضربة قوية شديدة. كما تؤلـف الاناث حلقة ثانية خلف حلقة الذكور وفي يد كل منهن ملعقة تقرع بها لدى كل حركة نصف قرعة مجوفة Colebas فتنطلـق ضربـات الاغصـان بالارض وقرع المعالق في آن واحـد . يتوسـط الحلقتين قائد الرقص



(١) و (٢) راجع عدد ديسمبر ١٩٥٠ من الاديب

الراقص الاكبر المقلد للنيمبا حاملا بيده مشعالا من القش يتصاعد منه الشرر ويضيء على من حوله . ويظهر هذا الراقص الاكبر ، في مظهر مثير للدهشة والاستغراب ، متلثماً بقناع خشبي يغطي من جسمه الرأس حتى الصدر وهو منقوش بنقوش متنوعة على الطريقة الباكوية ، وكثيراً ما يزيد وزنه على الخمسين من الكيلوغرامات . كما يستر النصف الباقي من جسمه البسة مزخرفة بشتى الزخارف والالوان . ويتبع الراقصون والراقصات جميع حركات هذا الراقص المقنع . تارة ينقلب عليهم وطوراً يتكأكأون عليه . وما اخف رجليه وهو يضرب بهما الارض الواحدة بعد الاخرى مثيراً الغبار من تحتها. وبين الفينة والفينة ينفجر منه نعيق يفوق الشهيق، فيسرع في الدوران على نفسه اكثر من ذي قبل الى ان يأخذ التعب منه مأخذه فيرتمي على الارض منهوكاً دالا على انتهاء دوره . فيخف احد رفقائه اليه ليقوم مقامه ويعيد الرقصة من ابتدائها.. وتبقى الحال هكذا ، هذا يتعب وهذا يستلم حتى مطلع الفجر ..

رقصة النيمبا بيفت Nimba Pefet

على الرغم من تشابه الاسم بين رقصة « النيمبا بيفت » ورقصة «النيمبا» فالرقصتان مختلفتان في الوقت وطريقة القيام بها. فرقصة النيمبا بيفت هي حق من حقوق المسنين الهرمين من الباكاويين رجالا ونساء ولا يحق لغيرهم الاشتراك فيها، تقام عادة في مناسبتي الزواج والوفاة.. فهي لاثارة الأفراح وازالة الاحزان، يقوم بها احد اولئك المسنين، متظاهراً في حركاته ورقصاته بالخرف والجنون ، لابساً « للنيمبا بيفت » زياً مثيراً للضحك والسخرية هو عبارة عن رأس خشبي، رقشت فيه رسوم سوداء بشعة، قام على عنق مستطيل ودقيق حكمه الراقص على هامته المستترة باسمال بالية واوراق موز يابسة . وليس هناك من نظام لأية حركة رقص يقوم بها. فبينما تراه قائماً قاعداً آتياً بابرع ما عنده من حركات بهلوانية تجده يميل بسرعة متناهية الى الاختفاء طي الظلام ثم يعود وهو يقفز قفزاً مرسلا القهقهات والعربدات مقلداً تارة القرد وطوراً الدب في مشيتها وجميع زملائه يصفقون له ويطربون جارعين من ماء النخيل ما يتمكنون.

رقصة الباندا Banda

أما رقصة «الباندا» المنتسبة الى قبائل النالو* ، فهي لعمري لا تقل غرابة وطرافة عن كثير من الرقصات المعروفة عند السود. فقبائل النالو تعتقد وتؤمن في اعتقادها أنها منحدرة من تماسيح البحر. لذلك جعلت من رقصة « الباندا » ظاهرة حقيقية من ظاهرات ايمانها . فالقناع الذي يتزيا به راقص الباندا ليس سوى جلد تمساح . كما ان رقصة « الباندا » ليست بالهينة الممارسة، فقل ما وجد في اي قرية نالوية اكثر من ثلاثة نالويين يحسنونها.. فهي مجاراة بالفعل وتقليد حقيقي لحدبة التمساح عدا الانتصابات المتعددة والارتماءات على الارض بلا هوادة والدوران على الرجل الواحدة الممثلة لذنب التمساح ، الى غير ما هنالك من حركات كلها تهويل وتخويف اعوذ بالله والملائكة منها ...

***

هكذا يعيش السود في كثير من الارياف منصرفين الى لذائذهم تحت تأثير ايمانهم بالخرافات والاوهام .

غينيا الفرنسية — **يوسف ابو خليل**

---

* النالو قبائل افريقية منتشرة في غينيا السفلى مجاورة لقبائل الباكا.





لألبير أديب





تلاشي ، تلاشي
بحّ الهمس
وغاب في الحلك
شعرك الاسود

*

ايها الشبح قف
لا تختف
عد اليّ
ما سرك
تملأ الدنيا
وتغيب عن ناظريّ
في النور تضيء
ولا اراك
وفي الليل
تنداح مع العتمة
ابحث عنك
فلا اجد
غير السراب
غير الغصة

*

ايها الشبح
اسطورة
سقط الغار
عن جبينها المكلل
فتعالى في الغاب زئير
وفي الكوخ نواح
وفي القصر عربدات لا تعي

*

ايها الشبح قف

*

وانكشف الغطاء
وتمزق الرداء
آهات عبيد خرساء

*

ليتني متّ
قبل حريتي



مكتبة الاديب



النيل : حياة نهر

لأميل لودفيج ـ ترجمة عادل زعيتر ـ ٧٥٠ صفحة ـ حجم كبير ـ منشورات دار المعارف ـ القاهرة

منذ آلاف لا تستقصى من السنين ، ونهر النيل يهدر وسط صحراء افريقيا من ينابيعه التي لا تنضب في اواسط القارة ، الى شاطىء البحر المتوسط الذي يلتهم بدوره ماء النيل ولا يشبع .

منذ آلاف لا يدري احد عددها ، وهذا « الكائن الحي » يجري في الوادي واهباً الحياة على ضفتيه ، ناشراً النماء على جنبيه ، منعشاً الحياة على وجه الارض ، يدفع جزيئه في حينها لا يستقدم ولا يستأخر . فلم يحدث قط في تاريخ مصر الطويل ، ان منيت بقحط الا في ايام يوسف الصديق ، ولم يحدث قط ان اخلف النيل وعده فجاء فقيراً الى « الغرين » وهو المادة التي تزيد الارض خصوبة طبيعية وتجعل التربة المصرية غير ذات صنو في ثرائها وغناها بالمقومات الغذائية التي تتجدد كل عام ولا تستهلك .

هذا النهر المارد الخالد ، استهوى الكاتب الالماني الكبير اميل لودفيج ، كاتب السير ومؤرخ المشاهير من الاعلام ، فقرر ان يكتب سيرة هذا النهر ، ويسرد ما ضؤل من شؤونه وما كبر ، ويسجل منحنياته ومساقطه ، ويتوغل مع النيل من منبعه الى مصبه في رحلة بسفينة وضعها تحت تصرفه الملك فؤاد الاول ـ الراحل المصري العظيم ـ كي يصور الدنيا التي يخترقها هذا « الافعوان » الكبير ، والمناطق التي يجتازها النيل ، والاحياء الذين يصادفهم في الوادي واجناسهم واعراقهم وعاداتهم وتقاليدهم وتاريخهم والطيور التي تحلق على آماد مرتفعة ، او تحط على افرع شجر دانية ، والفلاح ـ وهو المصري التقليدي ـ وكيف يعيش ، والارض وماذا تزرع ، والتاريخ وظلاله التي لا تمحى في الوادي ، وآثاره التي خلدتها الصخور الصلاد ، والمعابد والتماثيل والحفريات ...

وجاء كتاب « النيل » معجزة اميل لودفيج فقد انفق في جمع مادته ست سنين ، واقتضاه البحث ان يكون على المام تام بالعلم والتاريخ والاقتصاد والجغرافية والادب واللغة والنفس . واقتضاه التحقيق ان يتثبت من الاعلام الاعجمية وان يرجع الى المظان الموسوعية وان يختلط بالقبائل والعشائر وان يعيش مع الناس وبين الناس وان يعتصر الذهن اعتصاراً حتى لا تفوته عارضة دون تسجيلها . فلما اكمل لودفيج كتابة هذا السفر وطبعه باللغة الالمانية ، اصبحت مصر « في الواجهة » اي اصبح بين ايدي الاوروبيين كتاب متداول غزير المادة علمي المنهاج يتحدث للعالم عن مصر حديثاً لا يخالطه هوى ولا يأتيه ريب ولا تقر به خدعة . واقبل عليه المترجمون يشحذون اقلامهم لنقله الى اللغات الحية ، فصدرت له ترجمة انجليزية واخرى فرنسية ولعله ترجم الى التركية .

اما الضاد ، وهي لغة معظم سكان وادي النيل ، فقد ظلت محرومة من « النيل » لان احداً من الكاتبين او المترجمين لم يتصد لهذا العمل الجبار ، وهو ترجمة ثماني مئة صفحة من العلم المحض المركز الى اللسان العربي .

كتب لودفيج كتاب « النيل » في العقد الثالث من القرن الحالي ، ولكن الكتاب ظل اعجمياً على اللسان العربي حتى عام ١٩٥١ حين بوغت القراء مباغتة مفرحة بصدور طبعة عربية نفيسة تحاكي زميلاتها الالمانية والانجليزية والفرنسية ، ترجمها الكاتب العربي الكبير عادل زعيتر بك ، فما استعصى على قلمه شيء من مستبهم اللغة ، ولا استغلق عليه شيء من غامض التعبير ولا حار في شيء من اسماء الاعلام او اسماء الطير والحيوان ، ولا وهن امام وصف لا بد لتصويره من رؤية العين . فعادل زعيتر مستعل على اللغة ، متمكن من المعارف ، متضلع من التاريخ ، متبحر من الجغرافية تلين له عبارات العلم الجافة كأنه كان مع لودفيج على ميعاد ، وكانه رافقه في رحلته الطويلة الشاقة ولست اعني بذلك ان الاستاذ زعيتر امسك بالقلم وتدفقت ترجمة الكتاب كما يتدفق ماء النيل من منحدراته ، كلا فما ذلك بمستطاع في كتاب « النيل ـ حياة نهر » لانه كتاب لا تهضمه الا المعدة القوية للمترجم الواسع العلم والترجمة . وهو كتاب يقتضي الوقوف عند كل عبارة وكل كلمة وقوفاً قد يطول . ولقد شهدت بنفسي

كيف يقلب الاستاذ زعيتر مراجعه ومعاجمه وخرائطه في ادب وجلد لا يستغرب بان منه ، لانه حريص على ان يكون عمله خلواً من كل مثلبة بريئاً من كل منقصة . وقد جاءت الترجمة العربيـة « للنيل » آية على ما يستطيعه رجل واحد متفان مخلص، آية على ان رجال العلم يعملون في صمت وفي صبر وفي تؤدة ،لا يطلبون جزاء فالجزاء مهما كان سخياً لا يعوضهم عشر معشـار مـا احتملوه من عناء ـ ولا ينشدون الا خدمة الضاد خدمة تبقى ما بقيت العربية لغة تداول وتخاطب بل لغة نزل بها القرآن الكريم .

والاستاذ عادل زعيتر بك يتميز في ترجمته لكتاب « النيل » بصفات يتعين ابرازها :

اولا ـ فهو يضع لنفسه مبدأ لا يحيد عنه ، وهو ان يسمو باسلوبه ولغته سمواً ان لم يفق لغة لودفيج ، فلا اقل من ان يساويها . ولهذا جاء « النيل » تحفة ادبية رائعة،يقرأه القاريء اذا اراد لاسلوبه ان يسلس ، واذا اراد لديباجته ان تصبـح ناصعة ، واذا اراد لمعجمه ان يتزود بالجديد المستنبط من الالفاظ

ثانياً ـ وهو يفترض في القاريء شيئاً من عدم المعرفة ، ولذلك يحرص على ان يشرح كل كلمة وعبارة ، ويبرز معناهـا ومبناها ومناسبتها حتى لا يفلت من القاريء شيء اراد الكاتب والمترجم التصويب اليه .

ثالثاً ـ وهو يحرص على ضبط الكلمات جميعاً ووضع احرف الشكل في مكانها ، بحيث يقرأ القارىء قراءة صحيحة ، وبحيث ينطق الكلمات نطقها السليم غير المعوج. والاستاذ زعيتر يعرف خطورة الشكل مع صعوبته في الطباعة ، واما خطورته فمرجعها انها تعود القاريء النطق غير السليم اذا لم يدقق الكاتب في ضبطها. واما صعوبة الطباعة العربية فهي مشكلة نلمسها نحن كل يوم . ولكن المترجم جابه المشكلتين بعزيمة صادقـة قويـة ، واستطاع ان يذللهما ، فجمع الكتاب بين الحسنيين

رابعاً ـ انه يحرص على استخدام الالفاظ والعبارات والاسماء التي كانت معروفة عند العرب. ويدع ما شاع من خطأ صار مألوفاً

وهذه الظاهرة ملموسة في اسماء الحيوان واسماء الاشجار والطيور . والواقع ان هذه الاسماء جميعاً لو استخلصت من كتاب « النيل » لصارت في حد ذاتها معجماً للحيوان الافريقي ، قد لا يدانيه معجم غيره في دقة السرد وحسن الاستقصاء

خامساً ـ وهو لا يعتمد في ترجمته على طبعة انكليزية واحدة او طبعة فرنسية واحدة ، بل يعتمد على طبعات مختلفة وترجمات منوعة ، ولذلك لم يفته شيء مما رأى بعض الناشرين حذفه من صلب كتاب « النيل » في اللغة الانجليزية ، ومن ذلك مثلا فصل ممتع عن « حجر رشيد » لم يرد له ذكر في احدى الطبعات الانجليزية وإن كان ثابتاً في الطبعتين الالمانية والفرنسية

هذا شيء عن سفر « النيل » الذي أهداه للمطبعة العربية عادل زعيتر بك ، وقد سبقته هدايا نفيسة اخرى من مجلدات جوستاف لوبون واميل لودفيج وسيديو ودرمنجهام نقلها الى العربية هذا الكاتب الكبير . وان هذا التراث الخالد الذي به يخدم الاستاذ زعيتر اللغة العربية ليستأهل تقدير الحكومات والمجامع والهيئات فلا يصح ان يجحد عمله ، ولا سيما اذا كان هذا العمل ترجمـة لمعجزة « النيل » التي صنعها اميل لودفيج وزكاها المغفور له الملك فؤاد

القاهرة **وديع فلسطين**

ايليا ابو ماضى رسول الشعر العربى الحديث

لعيسى الناعوري ـ المقدمة للآنسة فدوى طوقان ـ ٨٠ صفحة
دار الطباعة والنشر ـ عمان

بين يدي الآن كتاب جديد وضعه الاديب الاستاذ عيسى الناعوري محللا فيه شاعرية ابي ماضي المبدعة مع مختارات من روائع قصائده . وقد اختار المؤلف لكتابة مقدمته الشاعرة

النابغة فدوى طوقان التي غمرت دنيا الشعر بفيض من الحانها الملهمة والتي جاءت مقدمتها خير ما تكون عليه مقدمة ، لا سيما وهي حول شاعر من شعراء القمة الباذخة في الادب العربي .

عني الاستاذ الناعوري في هذه الدراسة بادب الشاعر من حيث مجيئه برسالة سامية يحملها الى الحياة والناس . وقد ابتعد المؤلف في هذه الدراسة – كما يعترف في كلمته – عن البحث العلمي القائم على القوانين والاحكام ، وانما جعل منها شريطاً يعرض عليه انطباعاته الخاصة عن ادب شاعر يحتل ارفع مقام في قلب من يتذوق الشعر ويقدره . لقد جاءت دراسته سهلة طلية مغذية ، ولكنها في الوقت نفسه تشتمل على عناصر كثيرة من القوة والاحكام ودقة الملاحظة وعمق الفهم . ولا عجب اذا جاءت كذلك ، ومؤلفها ذو اطلاع واسع على ادب المهجر ، وله فيه جولات معروفة لا ينكر فضلها ، عدته فيها جميعاً ذوق ادبي رفيع ، وقلب حساس ، وقلم مرهف يسجل خواطر عقله وانطباعاته ، ومشاعر قلبه واحاسيسه .

تشتمل هذه الدراسة على سبعة فصول : – في الفصل الاول يلقي المؤلف نظرة عجلى على دواوين الشاعر الاربعة ويسلط اضواء ساطعة على نواحيها وخصائصها التي قربت صاحبها من النفوس ، واهمها انسانيته المثالية النقية ومحبته للحياة وشغفه بالطبيعة وملهماتها . وفي الفصل الثاني يدور الحديث حول النزعة الانسانية في شعر ابي ماضي ، وفي هذه النزعة تتجلى حرارة الاخلاص والصدق في تأدية الرسالة الصحيحة الرامية الى خير المجتمع وارتقائه . وفي الفصل الثالث يعالج المؤلف ادب الحياة عند ابي ماضي : الحياة الرفيعة التي تتوافق مع ما للشعر من قدسية وطهر وجلال . ثم يقف عند فلسفته الاجتماعية التي من ابرز خصائصها تحبيب الحياة مهما كثرت فيها الآلام والمتاعب . والذي ينتهي من قراءة هذا الفصل يخرج وعلى وجهه ابتسامة طافحة بالاعجاب لان فيه دعوة مبهجة معزية تزرع في نفوسنا الطمأنينة والرجاء ، وتطبع على ثغورنا الابتسام ، وتطير في عروقنا شعلة من العزم والامل ، تجعلنا نستقبل الحياة بطمأنينة وحبور . والفصل الرابع يدور حول شعر الطبيعة عند ابي ماضي – احد عشاقها المدنفين . وفي هذا الجو ، جو الطبيعة الممراح ، يرينا ابو ماضي من مفاتنها وروائعها الواناً بهيجة الاضواء . وفي الفصل الخامس تطل علينا في موكب منتظم بديع صور حية من حنين الشاعر يرسمها الناعوري بصدق وجلاء ، ليبين لنا شعور ابي ماضي وعواطفه نحو اهله واحبابه ووطنه الاخضر الشامخ – لبنان . وفي الفصل السادس يعرج المؤلف على المطولات الشعرية ، فيتعرض اولا الى القصيدة التاملية المشهورة « اسطورة الوجود او الحكاية الازلية » – تلك القصيدة التي تصور الاحاسيس الانسانية بقدرة عبقرية ساحرة ، ثم يليها تحليل لقصيدة تأملية ثانية هي مطولة « الطلاسم » . وبعد ان يقدم المؤلف لنا خلاصتها ، ينبري الى عرض آراء مختلفة حولها ، مثبتاً بعد ذلك رأيه الخاص الذي لا يخلو من الطرافة والفائدة ، وان كان يخالف جميع الآراء الاخرى . ولكنني اميل الى الاخذ بالرأي الذي عرضته الآنسة فدوى طوقان في مقدمتها حول هذا الموضوع . واما الفصل الاخير من الكتاب ، ففيه يقدم المؤلف « نثاراً متفرقاً » من قصائد الشاعر التي ان هي الا بعض الانعكاسات عن روحه الصافية .

ولا بد في الختام من التنويه بالنجاح الذي احرزه المؤلف في اختيار النماذج الشعرية المثبتة بين فصول الكتاب ، وبالنتف الشعرية الكثيرة التي ينثرها في ثنايا الفصول ليمثل آراءه وملاحظاته . ولكن حبذا لو اثبت المؤلف في اول الكتاب لمحة موجزة عن حياة ابي ماضي توخياً في افادة القراء .

هذا واني اقدم لمؤلف الكتاب تحية الاعجاب الخالص بهذه الدراسة الماتعة المشتملة على رسالة الادب التوجيهي الصحيح ، قل رسالة الحياة الناهضة التي تهدف الى تثقيف العقل وترقية الذوق وتهذيب الشعور .

رام الله – الاردن **ماجد فرحان سعيد**

الانسام : شعر مهجري

لمحمد يوسف مقلد – ١٨٠ صفحة – حجم كبير – مطابع دار الحياة – بيروت

.. ساحدثك ايها القاريء عن الشاعر « محمد يوسف مقلد » والظروف التي احاطت به قبل ان احدثك عن ديوان شعره « الانسام » فاذا تبينت لك ظروفه هان عليك ان تحكم على انسامه !

ان الظروف التي لابست الناظم نادرة الوقوع في حياة الادباء والشعراء . انها قاسية حادة جرعته كاس الآلام حتى الثمالة ولم تهادنه طيلة ايام مهجره السحيق القاتم ، اياماً يستطيع ان يذكرها بالخير ! وقد انطوى على نفسه وتألم فوق الألم في

فترة محنة طال امدها الى ما يقارب الثماني سنوات ، فانصهر شعوره المشبوب و نظم في كثير من حالاته اروع واعمق ما في الالم من روعة و عمق .على ان اجادته لم تمتد الى ابعد من آلامه في تلك الفترة و غير عجيب ان لا تواتيه الاجادة الا في هذه الناحية، فهو شاعر الفطرة والموهبة . نظم الشعر ودرس اللغة و الآداب على نفسه كالكثيرين من الشعراء العامليين ، وفي ابان امتداد موهبته و تغذيتها بالمطالعة و العرفان صرفته ملاحقة السلطة عن التطلع الى غير ظروفه الحرجة . حتى اذا اسلم نفسه للواقع ، استعصى عليه ما يشبع رغباته في التوسع والاستقراء !

ولقد تغيرت ـ قبيل عودته الى الوطن ـ ظروفه . فتغير معها توجيه افكاره وشمولها تغيراً تاماً . وذلك عندما حضر الى « كولك » هذه البلدة التي وجد بها اخواناً بالغوا في تقديره. وجواً من اجواء الفكر الصق بروحه من التي عرفها ، اضف الى هذا تحسن وضعه المادي والمعنوي ضمن حياة باسمة مستقرة فبرزت مواهبه بوضوح ، وجرب بالتعاون مع طائفة من ادباء الجالية انشاء رابطة ادبية ، توقظ ما غفا من احساسهم وشعورهم في احضان المادة !

وهكذا بدأ « مقلد » يكتب وينظم في مواضيع جديدة مفروض عليه ان يطرقها بعد ان اتسعت آفاقه وتجدد اتصاله في الحياة الادبية !

والحق ان مقلداً كان الصقنا واخلصنا للادب لانصرافه اليه ـ بحكم الظرف ـ وانصرفنا للتجارة ! فنشطت الحركة الادبية على يده في افريقيا الغربية وظهر بعض نشاطها في الصحف اللبنانية والمهجرية وان الكثير من هذه الآثار الادبية لم يزل افكاراً مسلسلة رائقة بين رسائل «الاخوان» في ادراج مكاتبهم!

وتعاجله السلطة ، فتأمره بمغادرة السنغال فيغادرها وفي نفسه حنين الى اخوانه ، وفي نفوسهم !

والآن بعد ان القينا بعضاً من قبس على ظروف الشاعر لجلاء بعض ما نرمي اليه من تفسير ومدى استعداد حق علينا ان نحدثك عن ديوان شعره « الانسام » ويهمني القول ان الشاعر « مقلد » سيء الحظ حتى في اخراج ديوانه ، فالطباعة رديئة ، والاغلاط لا تحصى ، والاخراج يستحق الكفر !

وكالعادة يبتدىء الديوان بمقدمة ، بقلم الاستاذ حسين مروه ، والمعروف عن امثالها في دواوين الشعراء هو تلطيف المدخل ، والتعريف المختصر ، ولفت النظر بدقة وبراعة الى مواطن الاجادة والاسفاف. لقد سماها صاحبها « نقد لا مقدمة » والواقع انها ليست نقداً كما يطلب من معنى هذه الكلمة ، بل هي هدم وتقويض . اجل لقد اشار بايماء سريع الى بعض اللفتات الشعرية ووضع نقاطاً على بعض الحروف ولكن الهدم والتقويض في الشاعر كان فيها الاعم ، ويلوح لي انه شاء ان يدفع صاحب « الانسام » ثمن قوله له « لست استجديك الثناء » والان حق علينا ان نقتحم « الانسام » التي « هبت سحراً وعطراً » لنعطي رأينا جاهدين ان لا نحابي القارىء ولا نتودد للناظم ، الذي تشدنا به عدة روابط !

ان شعر « الانسام » ينقسم بين اطوار ثلاثة من حياة الشاعر ، القسم الاول قبل هجرة الشاعر ، واول ابتدائه نظم الشعر ، حيث كانت دنياه صغيرة، وآفاقه محدودة لا يرى من الحياة الزاخرة الا لوناً واحداً، هو لون القرية العاملية، ثم عواطفه الشخصية نحو الحبيبة والجمال، وقد استوعب «الانسام» قسماً كبيراً من هذا الشعر القروي الساذج الذي تمرس بحالاته ويتكلمه اي كان من العامليين كلاماً عادياً وميزة الشاعر انه نظمه في اوزان وقوافي.

اسمع ظريف الطول من تنوره اما حمي او دارت الجاروش
وعلى صينيته مجدرة على لبن وتين يابس وعريش

وعلى هذا النمط يتكون الاغلب من هـذا القسم مقدرة على النظم ، وركاكة في التعبير ، وتفاهة في الموضوع ومن الانصاف ان نقول ان هذا القسم لا يخلو من وثبات شعرية رائعة ، ولكنك تجدها متفرقة كورد مبعثر في حقل من الهشيم!

ومعظم هذا القسم نظمه الشاعر قبل ان يهاجر ، وقد عرف الديوان بانه « شعر مهجري » فهل المقصود تكبير حجم الديوان ؟؟؟

وننتقل الى الطور الثاني او القسم الثاني ، وهو شعره في ايام محنته . فنشعر بوهج العاطفة المتألمة والشعور المشبوب ، حيث لا يتصل هذا الشعر في الحياة الا باسباب الالم ، وهـذا عندي اصدق واروع ما نظمه مقلد :

بقلبي في النوى جرحان ، جرح على نفسي ومن اهوى يعز
وجرح لست اشرك فيه غيري فذاك من الحوادث فيه لغز

إي والله . انه لغز لا يتوفر حله الا بهذا التعريض !

بعد وشوق وآلام مبرحة ما طال في عهدها عمر المحبينا
ظلم وذكرى وتعذيب وموجدة لم تتخذ بحثا عطفا ولا لينا

وهكذا تتسلسل آلام الشاعر المصهورة فتخرج هذه الانات الخالدات التي يحسها ويتمثل بها كل من اناخت برحابه الليالي الحالكات ، والحق ان مقلداً في هذا الطور – طور الألم – كان في شعره عميقاً رائعاً ينبض في الشعور الحي والالم الدفين ولا تخلو قطعة من شعره في هذا الطور من نقمة على الاوضاع ، وانة من الواقع

فما شريت الحظ قبل منافيي لو ان حظا يشترى ويباع
لي اصدقاء ماكرون ، خبرتهم فلمت اني فيهم مغشوش

وهذه النقمة على الاوضاع والواقع تألم منها الشاعر كثيراً فاوحت اليه بهذه الانات اسمع اليه وهو يخاطب قلبه

لنا كفايتنا من كل عادية مروعة نزلت فينا بنا أنا
لم جراحك واشفها بناءمتي لنملأ الارض اوجاعا واحزانا

انا صخرة ترمى وما برحت على الايام صامدة بوجه الرامي
تالله ما قنط الشقي من المنى يوما ولا يئس الفؤاد الدامي

واحيلك اخيراً على قصيدة « خيبة الاغتراب » ففيها من قوة التصوير وحدة العاطفة ما لا يقل روعة عن شعر المتنبي عندما كان سجيناً في حمص ! وكما سبق في قولنا ان اجادة الشاعر في هذا الطور لا تتعدى آلامه وتصويرها ، ولقد نظم في غيرها فلم يوفق ، وستقرر معي هذا بعد مطالعتك للانسام .

وقبل ان نترك الحديث عن هذا الطور من شعره لا بد من الاشارة الى غلطة فادحة ارتكبها في نشره بعض القصائد التي تعني اناساً معينين وتشير الى حادث معروف كان اساء الى الشاعر وسبب متاعب له ولمن عناهم في قصائده مثل « بنت عرب » « اكذوبة امرأة » « الى عاهرة » فهذا النوع من الشعر له مساس بالاخلاق العامة . وما التهجم على الناس في ديوان تتناوله الايدي ، مما يرضى عنه كريم !

واذا جاز لنا ان نتكلم عن الطور الثالث في حياة الشاعر الادبية ، فسنحدده من السنين الاخيرة من مهجره ، بعد ان انطلق من آفاق القرية المحدودة ، ومن ليالي محنته الحالكات ، الى دنيا من الشمول تعج بمختلف الاسباب الدافعة ، فاكتمل نضجه الادبي او كاد . فنظم وكتب في كثير من المواضيع الطريفة التي عرفها قراء الاديب والعرفان والالواح والاحد وغيرها من المجلات والصحف !

وللدلالة على نضج افكاره واستقامة شاعريته نشير هنا الى قصيدتين في ديوانه « العقيدة الادبية » « وصرخة » تاركين الباقي لذوق القارىء !

وبعد . فانا نخشى بعد ان استاثرت الصحافة بجهده الادبي ان تتوارى شاعرية صاحب « الانسام » ومحرر مجلة الاماني « الحطيم » وباعث النشاط الادبي بين «اخوان الادب العربي في افريقيا » ؟؟ ومع اسفنا لهذا فان بوادر وقوعه ماثلة الا اذا جاءنا بديل جديد ، وانا لمنتظرون !

نجيب صعب
كولك – سنغال

اوديب من دون لغز

للكاتب الفرنسي مار سيللو فابري مؤسس مجلة العصر الجديد الباريسية
ŒDIPES Sans énigmes — Essai par Marcello Fabri

هذه مقالة مطولة تحتوي على فصول ستة كلها يأخذ ناحية هامة من حياة الانسان ، الانسان « الذي لم يظهره الادب والفلسفة الحديثة السائدة في العالم هذه السنين الا بصورة سالبة محدودة وخاطئة .. دون التأمل فيما يمكن ان يحتويه هذا الانسان نفسه من ينابيع اخرى تستمر في اعماقه ... »

وقد صدرت هذه المقالة في مطبوعات دار النشر « كوريا » Corrêa بشكل جميل وعلى ورق ابيض صقيل يذكر بمطبوعات ما قبل الحرب مع مقدمة اخاذة رائعة لصديقنا البروفيسور باير Bayer مدرس الاستيتيك في السوربون .

واني لا اريد مناقشة آراء الكاتب او شرحها بهذه الكلمة

القصيرة فهذا اشبه بالمحال ، ولكني ارغب ان اعرف قراء الاديب بكاتب فرنسي ما احوجنا في الشرق الآن الى امثاله يحللون ما نحن فيه بصراحة وصدق ويعلمونا كيف السبيل الى اصلاح الخطأ بنفس الصراحة والصدق .

ان مارسيللو فابري ، مؤسس مجلة العصر الجديد ومؤسس هذا الكتاب المفيد وعدة كتب وقصص ودواوين اخرى ، قد توفي قبل مدة قصيرة تاركاً لزوجه ادارة المجلة التي ما تزال تسد فراغاً له اهميته في الحياة الفكرية في باريس ، ومتابعة نشر اعماله التي كتبها للمساهمة في توجيه انسان ما بعد الحرب الذي فتكت باعصابه الاهوال والمصاعب فانفلت لا هدف له ولا مثل اعلى لحياته الضاربة في طريق الفوضى والتفسخ واليأس !

وقد قسم فابري هذا الكتاب الذي نحن بصدده الى عدة ابواب بطريقة علمية دقيقة خص كلا منها بموضوع مستقل من المواضيع الحيوية فيما يخص الدين والاخلاق والفن والاجتماع والثقافة العامة والجنس وختمها بجزء من الاعتبارات العامة يشمل العلاقات الفكرية ويمتلىء بالمواعظ الفلسفية التي استطاع فابري ان يحللها بدقة ووضوح تامين .

وبالرغم من ان الطريقة التي انتهجها المؤلف ـ طريقة الوعظ والارشاد ـ قد اصبحت عقيمة يملها الذوق الحديث الذي اصبح يجد الطرائق السينمائية والقصصية متعته المفضلة ، اقول بالرغم من هذا فان فابري ما يزال بكتابه هذا يستطيع لفت النظر الى تأملاته التي في حقيقتها شعور عميق بالمسؤولية العامة .

ولعلي احسن عملا بترجمة باقة صغيرة من المتفرقات من الامثال والجمل المفيدة التي دونتها في مفكرتي عن هذا الكتاب :

في عهد التشييد ، العبقرية لخلق الحقيقية ، اما في عهد الانتقال فان القرائح تقتفي احيانا اكاذيب ملذة ، على ان في عهد الانحطاط يكون الفن والفكرة اقرب الى مركز الآلهة والملم يصبح نبيا ...!

لا يمكن هدم المجتمع . انه لا يستطيع الا البقاء ، ولكنه فقط يتعرض للتطور .

مهما كان شكل المدنية فهي قطعة فن .

غالبا ما ينتقد المتشككون بانفسهم والمرجعون كل النتائج الى اسبابها اولئك الذين يبحثون عن مثل اعلى بقوة اليأس ، ويعيبون عليهم انهم اضاعوا النظر الصائب الى الاشياء والى العالم !

... كذلك الشعر في تتابعه الاكثر صعوبة فهو يتنقل باستمرار من الرمزية الى الرومانتيكية ومن الرومانتيكية الى الرمزية .... الخ .

يتقاسم العصر شيئان : الخجل من العقيدة والاشمئزاز من عدم الاعتقاد بشيء البتة ...

ومثل هذا كثير في هذا الكتاب الكبير الفائدة والذي يذكرني دون رغبتي باولئك الكتاب ممن وقفوا حياتهم على تخدير الشباب العربي المعاصر بافيون ترجماتهم التي تعيش على سوء التوجيه وضعف التهيؤ الذي عليه الاكثرية في الشرق نعم اني افكر بهؤلاء واتساءل : هل بينهم كثير ممن يمكن التفكير بترجمة ما يفيد وليس ما يربح ؟!.. لا .. فنحن مع الاسف نقبل على الحياة غب خيال طويل كدخان اللفائف من غرفة مغلقة .. وكثيرون جداً من باستطاعتهم استغلال هذه الحالة الضائعة حالة التدخين الا اني اظن ان اليقظة من غبش الدخان قد اصبحت اكثر من ضرورة وبدونها لا يمكننا ان نفهم حقيقة ما يقدم لنا اولئك الكتاب المتخشين من سموم ومخدرات خطرة عن طريق ترجماتهم الحقيرة عن الغرب المسكين !

باريس — **جميل حمودي**

ظهر حديثاً :

- مجلة « الجعفرية المسائية » وهي مجلة ادبية نصف شهرية تصدرها في بغداد اللجنة الادبية في الثانوية الجعفرية تحت اشراف الاستاذ اسماعيل آل ياسين ومديرها المسؤول الاستاذ عبد الجليل جواد فنرجو لها الازدهار .
- الوجدان وهي جريدة سياسية ادبية صدرت عن بيروت لصاحبها ورئيس تحريرها الاديب المعروف الاستاذ فؤاد البدوي فنرجو لها التوفيق
- دخلت سنتها الخامسة مجلة الحج الغراء التي تصدرها شهريا في مكة المكرمة الادارة العامة لشؤون الحج ويرأس تحريرها الكاتب الفاضل الاستاذ محمد سعيد العامودي .

وقد ادخلت بهذه المناسبة تحسينات عديدة على المجلة سواء في اخراجها وحجمها وعدد صفحاتها او في مواضيعها وابحاثها القيمة فللزميلة الكريمة احر التهاني مع اخلص التمنيات لنجاحها وازدهارها .

- طريق السلم ، مجلة عالمية تدافع عن السلم وتصدر بعشر لغات . الطبعة العربية تصدر عن الجزائر في ٦٤ صفحة حجم متوسط ويشرف على ادارتها الاستاذ عبد الرحمن بو شامة ويساهم في تحريرها نخبة من رجال الادب والفكر فنرجو لها التوفيق والنجاح .

أنباء العالم في شهر

٢٣ ابريل ١٩٥١ ـ اشتد هجوم القوات الشمالية في كوريا في الجبهتين الوسطى والغربية واخذت القوى الدولية تتراجع .

٢٤ ـ امتد هجوم القوات الشمالية في كوريا الى الجبهة الشرقية واستمر تراجع القوى الدولية واصبحت كلها داخل خط العرض الـ ٣٨ وتوغل الشماليون عميقا في خطوط الدفاع التي اصبح بعضها غامضا .

٢٥ ـ استطاعت القوى الدولية في كوريا سد الثغرة التي فتحت في خطوطها . وقد وقفت حدة الهجوم الشمالي .

٢٦ ـ شرع سكان ساوول عاصمة كوريا الجنوبية في اخلائها للمرة الخامسة .

٢٧ـ قدم السيد حسين علاء رئيس حكومة ايران استقالة وزارته بسبب ازمة البترول .

٢٨ ـ قبل بتأليف الوزارة الايرانية الدكتور محمد مصدق زعيم معارضة الجبهة الوطنية ورئيس اللجنة البرلمانية للبترول وقد عرف بالحض على التأميم .

٣٠ ـ اصدر وزير خارجية الصين الشعبية امراً بمصادرة شركة البترول الاسيوية الانجليزية التابعة لشركة شل وللشركة ممتلكات ومؤسسات هامة لا سيما في شا نغاي .

اول مايو ـ جرى عرض عسكري عظيم بموسكو احتفالا باول مايو حضره الجنراليسيم ستالين والقى فيه الماريشال فاسيلفسكي خطابا هاما

ـ تسلمت السلطات اليوغوسلافية الشحنة الاولى من الادوات الحربية من الغرب تنفيذاً لبرنامج مساعدتها عسكريا واقتصاديا.

٢ ـ وقع شاه ايران مرسوم تأميم البترول

ـ توفي في باريس الامير منصور آل سعود وزير الدفاع في المملكة العربية السعودية

٣ ـ عقد مجلس الامن الدولي اجتماعا لمتابعة البحث في النزاع السوري الاسرائيلي وقد ابلغ الجنرال رايلي المجلس ان مستنقعات الحولة واقعة في المنطقة الحرام وليس للبوليس اليهودي صلاحية التدخل فيها .

ـ اذاعت الحكومة السورية عدة بلاغات رسمية عن دخول قوات اسرائيلية الى المنطقة الحرام ومهاجمتها العرب القاطنين واستعمالها المدافع، مما ادى الى وقوع عدة قتلى وجرحى.

ـ صدر مرسوم بحل المجلس الوطني الاردني.

٤ ـ اعلنت حكومة ادیناور الالمانية حقها بالسيادة على الاراضي الالمانية جميعها كما كانت ايام هتلر .

٦ ـ اذاعت الحكومة السورية ان القتال ما يزال مستمراً بين العرب واليهود شمالي بحيرة طبريا وضربت خمس طائرات يهودية مخفرا في الاراضي السورية فقتل ضابط ومدني وجرح عشرة .

٧ ـ تتابع القوات الدولية في كوريا تقدمها البطيء وقد دخلت دورياتها مدينة تشونشون .

٨ ـ سلم الاتحاد السوفياتي السفير الاميركي في موسكو مذكرة سرية قيل انها تتضمن الرد على المقترحات الاميركية بشأن معاهدة الصلح .

ـ صرح الجنرال ماريشال وزير الدفاع الاميركي بشهادته امام لجنة مجلس الشيوخ الاميركية التي تحقق في اسباب اقالة الجنرال ماك ارثر وقد جاء فيها انه لو اتبعت سياسة الجنرال ماك ارثر الخاصة بالحرب في كوريا لكان هنالك احتمال بتدخل السوفيات واشتعال حرب عالمية ثالثة .

٩ ـ شنت ٣٠٠ طائرة دولية اعنف غارة عرفتها الحرب الكورية على مطار لقوات الشمال على مقربة من حدود منشوريا

ـ اقر مجلس الامن امراً الى سوريا واسرائيل بوقف اطلاق النار حالا .

ـ استهانت اسرائيل بقرار مجلس الامن واستأنفت قصف المواقع السورية .

١٠ ـ اعتذرت الحكومة البريطانية للحكومة الفرنسية عن اغفال دعوتها الى المحادثات البحرية حول قضايا شرق البحر المتوسط التي جرت بين بريطانيا والولايات المتحدة

١١ ـ قامت ثورة دامية في باناما بخلع رئيس جمهوريتها السيد ارياس وسجن وتولى الرئاسة السيد اروزيمنا .

ـ اصدرت وزارة الدفاع الافغانية بلاغا بان قوات باكستانية نظامية هامة قد هاجمت مركزاً افغانيا على الحدود .

١٢ ـ عقد في باريس وكلاء وزراء الخارجية الاربعة جلسة اخرى من جلساتهم العقيمة ولم يحرزوا اي تقدم يذكر .

١٣ ـ اخذت القوات الشمالية في كوريا تنحدر جنوبا في الجبهتين الوسطى والشرقية .

١٤ ـ عقد مجلس الجامعة العربية اجتماعه الاول بدمشق بناء على دعوة الحكومة السورية وقد احال القضايا السياسية الى اللجنة السياسية والقضايا الاخرى الى لجنة خاصة .

ـ اعلن الدكتور محمد مصدق رئيس الوزارة الايرانية ان حياته معرضة للخطر بتهديد من جمعية « فدائيان السلام » وطلب من مجلس النواب الاعتصام والاقامة بالبرلمان فلا يغادره الا بعد ان يتم تنفيذ قرار التأميم.

١٥ ـ وصل الملك عبدالله الى تركيا في زيارة لها .

ـ اعلنت الامم المتحدة ان سوريا واسرائل قبلتا دعوة مجلس الامن بوقف اطلاق النار على الحدود .

١٦ ـ استقال رئيس جمهورية بوليفيا السيد اوربولا غواتيا ولجأ الى التشيلي . وقد تسلمت الحكم هيئة عسكرية برئاسة الجنرال هونو باليفيان .

ـ دعت الجامعة العربية المنعقدة بدمشق حكومة عموم فلسطين لحضور جلساتها . فاحتج الوفد الاردني وغادر دمشق .

١٧ ـ تقدمت الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وتركيا من مجلس الامن بمشروع يطلب من اسرائيل وقف اعمال التجفيف في مستنقعات الحولة فوراً والسماح للمدنيين العرب في المنطقة المجردة بالعودة اليها .

١٨ ـ قامت القوات الشمالية في كوريا بهجومها العام فاخترقت خطوط القوات الحليفة في الجبهة الشرقية واقامت خلفها حواجزاً مما يهدد هذه القوات ، واشتد الهجوم في الجبهة الغربية نحو الجنوب الشرقي منها

١٩ ـ اعطيت الاوامر الى القوات الدولية في كوريا بالتراجع العام في جميع الجبهات.

٢٠ ـ خطب الرئيس ترومان قائلا بان الولايات المتحدة تمر باعظم ازمة عرفتها . وقال بينما قواتنا تحاول الصمود في كوريا نواصل هنا المساعي السلمية لانهاء الحرب .

دار الطباعة والنشر اللبنانية ـ بيروت
تليفون 98 - 35